

# رسالة

اليونسكو



## البحث عن الماضي

التاريخ  
والذاكرة

مارس آذار ١٩٩٠

العدد ٥٠ قرشا



## نقاط التلاقي

إننا ندعو القراء إلى أن يروونا بالصور التي يمكن نشرها في هذا الباب . وينبغي للصور التي ترسلونها أن تعرض رسماً أو نقاشاً أو أي مخططاً أو أي موضوع ترون أنه مثال للتلاقح بين الثقافات . أو يمكنكم بدلاً من ذلك أن ترسلوا صورة لمصطلح من لغاتين مختلفتين ترون بينهما صلة واضحة أو تشابهاً ذا دلالة . ويرجى أن ترسلوا بكل صورة بطاقة عنها .



### صلة تخطيطية

١٩٨٢ ، منسوجة جذابة من الصوف والألياف الصنعية وأزوار اللؤلؤ . ١٧٨ x ٨٤ سم ، صنع ماري دبيريديون . رأس يرتدى قبعة مشددة القرون كسا صورت وفقاً للمعتقدات التكميلية في هذه المنسوجة التي صنعها على نول تقليدي قاتمان من كيبك . وقد استوحى فكرة استخدام الأزرار اللؤلؤية من الملابس المورقة التي كان يلبسها الباعة الجوالون في شوارع حي الإيست إند في لندن .

## المحتويات

مارس / آذار ١٩٩٠



بحثاً عن الماضي  
التاريخ والذاكرة  
الذاكرة والزمن  
بقلم : فرنسوا هارتونج

هيرودوت القصص الغد  
بقلم : كارمين أمبولو

توسيديد الشاعر  
بقلم : بول كارتليدج

المؤرخون الصينيون وديوان التاريخ  
بقلم : هيوداتونج

" تذكر . . ."  
اليهود في مواجهة ماضيهم  
بقلم : ليونيل كوشان

المسيحية بين المطلق والنسبي  
بقلم : فردريش قلهم جراف

كتابة التاريخ في الإسلام  
بقلم : عبد السلام شداي

التاريخ الأفريقي  
بين الرواية الشفهية والكتابة  
بقلم : بوجوميل جوزيوكي و . ف . ي . موديسي

الاتحاد السوفيتي ونهاية " البقع البيضاء"  
بقلم : فلادان سيروتكين

لم تعد هناك قارات غير  
مستكشفة ولا بحار مجهولة  
ولاحزر تكتشفها الأسرار .  
وباستطاعتنا إذن أن نتغلب على  
الحواجز المادية التي تقف في  
طريق الاستكشاف ، لكن حواجز  
المجهل المتبادل بين الشعوب  
والثقافات المختلفة مازالت قائمة  
في كثير من الحالات .

ولو أن غوليس (بسطل  
الأديسة) بحث حياً لاستطاع أن  
يجوب أرجاء الأرض دونما عائق .  
ولكن ثمة اليوم رحلة تدعونا إلى  
استكشاف ماضي العالم من آفاق  
ثقافية متعددة والتعرف على  
حياة الشعوب المختلفة وعلى  
مواقفها من العالم الذي تحيا فيه

وتلك هي الرحلة التي  
تقترحها اليوم رسالة اليونسكو  
عليكم أيها القراء ، ففي كل شهر  
سيدرس كتاب مبرزون من  
جنسيات مختلفة موضوعاً ذا  
أهمية عالمية من زوايا ثقافية  
ومهنية مختلفة . أما البوصلة  
التي سيهتدى بها في هذه الرحلة  
التي ستجوب مختلف الآفاق  
الثقافية في العالم فهي احترام  
كرامة كل الشعوب في كل مكان



## افتتاحية العدد

لكل مجتمع ماضيه ، ولكن المجتمعات لم تقيم ماضيها بنفس الطريقة ولم تتبع في استرجاعه نفس الإجراءات . فالأحداث التي تقع في نطاق كل مجتمع هي التي تحفره إلى التنازل بشأن الفترات المنصرمة من تاريخه . لقد تنوعت المواقف من الذاكرة تنوعا شديدا في الحضارات المختلفة ، وذلك تبعا للبنى الاجتماعية ونظم توزيع السلطة و لاستخدام الكتابة أوعدم استخدامها وطبيعة الدين السائد وعلاقات الناس بالزمن والموت وغير ذلك من العوامل .

وقد صارت أعراف التاريخ مقبولة في الوقت الحاضر على نطاق واسع بحيث أصبحنا نسلم بها تسليما ، ولانكاد ندرك أن ثمة كثيرا من الطرق الممكنة الأخرى لمواجهة الماضي . ومثال ذلك أن تنظيم الذاكرات وفقا للترتيب الزمني ليس أمرا مشتركا بين كل المجتمعات .

ويبدو أن التاريخ بالمعنى الحديث يشهد ازدهارا واسع النطاق . ولا يقتصر الأمر على رواية قصص الملوك والأمراء والشعوب والأمم ، فكل فئة وكل مؤسسة تريد أن يكتب تاريخها . ومن الاتجاهات العصرية الشائعة ما يسمى بـ "التاريخ الفوري" .

ففي الماضي كان المؤرخ لا يبدأ فحص السجل التاريخي قبل أن تندرج الأحداث في إطار منظور ما . أما اليوم فإن التلفزيون وغيره من وسائل إعلام الجماهير يقدم للمتلقين التاريخ وهو مازال قيد الصنع ، وبذلك تضيق المسافة بين العناوين الرئيسية وكتب التاريخ وتقع الحدود بين الموضوعات الإخبارية والموضوعات التاريخية .

وبلاحظ في نفس الوقت أن ثمة اهتماما متزايدا إن لم يكن مفرطا بطرائق إدراك التاريخ في الأزمنة الغابرة وإعادة تأليف التاريخ من ذكريات مكبوتة أو باهتة ، ذكريات حفظت كلاما أو كتابة ولاسيما ذكريات ضحايا التاريخ كالذين هلكوا في أفران الغاز أو معسكرات الاعتقال . وقد صارت الذاكرة نفسها موضوعا للبحث التاريخي .

ولقد رأى محررو "رسالة اليونسكو" أن يستكشفوا علاقات الإنسان بالماضي ، ولكنهم سرعان ما أدركوا أن من المحال الوفاء بحق هذا الموضوع المتشعب في عدد واحد . ومن ثم كان هذا هو العدد الأول من عددتين خصصا للتاريخ على صعيد العالم في الماضي والحاضر . وموضوع هذا العدد هو "التاريخ والذاكرة" أو العملية التي حاول بها المؤرخون أن يهزموا الزمن وينقذوا الماضي من النسيان .

مقطع من لوحة بريشة شارل  
جوليف ناتوار ( ١٧٠٠ - ١٧٧٧ )  
منوانها «صورة ومزجة» للتاريخ إذ  
يكتب تحت رعاية مهنرلا» .





## الذاكرة

## والزمن

بقلم فرانسا هارتوج

يخلف مفهوم الزمن من ثقافة إلى أخرى  
ورغم أن التاريخ والذاكرة مرتبطان بحيث  
لا يتصل أحدهما عن الآخر، فإن العلاقات  
بينهما لم تطل في جميع الأحوال من العقيد.



كتب عالم الأثرولوجيا الفرنسي لويس دومون يقول  
مادة لنا عندما نتكلم اليوم عن التاريخ فإن ما يعرف في  
حاضرنا لا يتغير على تسلسل مطلق أو نسبي للأحداث ،  
وإنما معنى سلسلة سببية أو بعبارة أفضل مجموعة من  
التغيرات ذات التفرع وإن كانت في التاريخ بمعنى قسماً  
نرى أن تترك وجود البشر والتجمعات والمضمارات في  
تطورها عبر الزمن بل إننا نؤكد نعتقد أن التغير واحد له  
معنى وأن التغيرات لا معنى له ، في حوز أن معظم  
التجمعات رأيت العكس تماماً <sup>(1)</sup>.

وقد ظهر هذا المفهوم كمسألة وعامل للتقدم في القرن  
الثامن عشر ، إيمان عصر الأثوار في أوروبا ، وكان بمثابة  
محاكاة جديدة عظيمة لرؤية مسيحية معالها الرئيسية هي  
خلق العالم ، فتجسد المسيح ، فنهاية الزمن ، ووجد  
للمفهوم اكتساده في فلسفة التاريخ عند هيجل والثابرة  
التاريخية عند ماركس ، فالحقيقة وفقاً لهذا المفهوم لم تعد  
توجد بين دفتي كتاب مقدس ، بل هي التاريخ عينه كما  
يستل في الكتاب الحقيقي له النفس البشرية عبر الأزمنة  
والأسم (أهرار) ، وحيث تتكشف البشرية في ظلها  
الساكن على الأرض .

وبذلك يصبح الزمن في السامرة التاريخية أداة قوامها  
التسلسل الزمني كبداً للتصنيف لا يفرقه مبدأ آخر  
والخطبة الكبرى في هذه الحالة هي القارعة التاريخية .  
غير أن هناك علاقات أخرى بالزمن - أولئك الأزمنة  
أخرى - يتوارى فيها قانون التعاقب ليصبح المجال لطواف  
التراكم والتراكب والمحاكاة والتعايش والاستيعاب من جديد

### فكرة خارج الزمن

ومن هنا كانت الفكرة في الهند البرهمانية ، لا تهتم  
بتعاقب الأفكار وترتيبها وفقاً للتسلسل الزمني ، وفي  
هذا الصدد كتب عالم الدراسات الهندية الفرنسي "شارل  
مالامود يقول" إننا نبحث عيشا عند البرهانيين عن فكرة  
"عالم الفكرة" فالأفكار لا ترسم معالم سيرة ما وإنما تؤدي  
إلى جعل حدود الشخص منطقة ضبابية وحلقة غير مغلقة  
"ولقد يمكن للمرء إذن أن يقول كواتي توصلت إلى إثنان  
التحقيقات الثانية ، وفوت خاصة بأسباب الجدارة الضرورية  
لاستطعت كما هو معلوم ، أن أتذكر حيواتي السابقة .

والتي جانب هذه الفكرة العادية ، الترجمة نحو التذكر ،  
توجد فكرة أخرى ملزمة حسنة التشريب مضبوطة بدقة  
ومخصصة تماماً للحفظ ، وعليها يعتمد في حفظ نص  
القياس القس من ظهر قلب ، وهو الكتاب الذي يرجع  
تاريخ تدوينه ، بالتأكيذ ، إلى القرن الثالث قبل الميلاد  
على الأقل ، وإن كان نقله لا يعتمد على الكتابة ولكن  
على الصوت في القام الأول ، فالبرهانيون يستخدمون  
مجموعة من التقنيات الحكيمة التي تؤدي إلى "تجزئ"  
النص ، وبذلك يتوصلون إلى "دمجه" بالتدريج في  
شخصية التشبيذ ، وذلك أن التلاوة ينبغي أن تتم دون  
أغلاط ، فالخطبة خطبة بالإضافة إلى أنها كارتة على  
صعيد الطقوس ، وفي نهاية هذه المحاكمة ، يبدو النص  
وكأنه موزع مجرد من كل سياق مقارن الزمن .



ومثل هذه الطريقة في تربية الذاكرة تقع على طرف تقبض من الشاغل التاريخي كما نشأ وتطور في الغرب . وهي تفترض نوعاً آخر من الزمنية ومن الذاكرة ومن التاريخ .

### تاريخ في الماضي تاريخ في الحاضر

وقد أكد هيرودوت أبو التاريخ الغربي في مستهل "تاريخه" أنه يريد أن ينقل آثار النشاط البشري من النسيان ، فبإزاء ثبات الطبيعة وخلود الآلهة ، يصف المؤرخ بكلامه هذه الآثار الزائلة بطبيعتها ، ويحفظها بكتابتها . وهو برصه وريشا للشاعر الملحمي ، يعلن للناس أن

مفاتيح الخلود بيديه . ورغم أن التاريخ والذاكرة مترابطان فإن علاقتهما معقدة ، متغيرة نزاعية . فقد كان تيسوسيد مقتنعا بأن التاريخ لا يكون "علمياً" إلا إذا اقتصر على الحاضر ورأى بناء على ذلك أنه إنما يكتب ضد الذاكرة فهي لا تؤمن . كذلك رأى خلفاؤه البعيدون في القرن التاسع عشر أنه ينبغي الفصل فصلاً تاماً بين التاريخ والذاكرة وإن كانوا استندوا في ذلك إلى مثل أعلى آخر هو أن يكون التاريخ في الماضي وفي الماضي فقط وبذلك ينتهي التاريخ حينما تبدأ الذاكرة .

ثم حدث منذ وقت قريب تحول في هذا المضمار ، وغزت الذاكرة ميدان التاريخ . ومن هنا صار من الضروري أن يعاد النظر في الاثنين معاً . ففى موضوع مثل إعادة التازية لليهود كيف يمكن التوفيق بين مقتضيات الذاكرة وضرورة التاريخ ؟ أصبحت الذاكرة اليوم موضوعاً للتاريخ ، بعد أن كانت مشوبة في نظر المؤرخين وصارت ثمة تاريخ للذاكرة

### شعب الذاكرة

إن كلمة "زخور" بالعبرية تعني "تذكر" وذلك هو الأمر الذي يتردد في قصص التوراة واليهودية كلها . ولا ينفك إسرائيل يخلق الأمر بالتذكر ، ويعلم الاستسلام للنسيان ! غير أن "زخور" هو أيضاً عنوان كتاب ليوسف باروشلي . ينطلق من هنا الأمر بالتذكر ليدرس علاقة اليهود بماضيهم والتوراة نص مقدس ونص مكتوب وهي في المقام الأول نص منزل ، مثلها مثل الفيدا . وعلى اليهود بدورهم أن يدرسوا التوراة (٢) وأن يتعلموها ويستظهروها .

بيد أن صلة اليهود بكتابهم المقدس تختلف كل الاختلاف عن صلة البرهمنانيين بالفيدا . إذ ليس ثمة ما يفضي إلى تجزيته وتحريره من كل سياق . فالمهم في هذه الحالة هو ما وقع في الحدث بالذات والطريقة التي وقع بها . بدأ بالوحي الإلهي . وذلك أن الوحي تاريخ ، وقد تحول زمن البدء . منذ الخروج من الفردوس ، إلى زمن تاريخي وينبغي للقصة التوراتية ، بما أنها تاريخية في بنيتها العميقة ، أن تكون ذاكرة لمسيرة الزمن والبشر ، ذاكرة التاريخ وذاكرة بني الإنسان .

ولكن اقتضا التذكر لا يستوجب إبداء أي فضول بإزاء الماضي في حد ذاته ، كلاً ولا يترتب عليه . كما أراد هيرودوت إنقاذ آثار النشاط البشري الجديرة بالاهتمام من النسيان . فالماضي الوحيد الذي يجدر بالاهتمام هو ماضي تدخلات الله في التاريخ وردات الفعل البشرية التي استتبعها .

ورغم أن اليهود لم يتخلوا قط عن ضرورة التذكر فقد مر بهم زمن توقفوا فيه عن كتابة التاريخ . أفىكون السبب في توقفهم عن هذه الكتابة أنهم صاروا هم أنفسهم "شعب ذاكرة" ؟ فلقد كان التاريخ والذاكرة مقترنين حتى ذلك الحين ثم بدأ أنهما يسبيلهما إلى الانفصال . ومن ثم كان الأدب الماخامي ، اللاحق للتوراة ، يخلو تماماً من كل بعد تاريخي .

وقد لاحظ البعض أن الحد الفاصل ظهر في مجتمع «يينه» (حوالي سنة ١٠٠ قبل الميلاد) الذي حدد النص النهائي للتوراة . وعندئذ وقع ما يشبه الاستثناء الذي يثبت القاعدة فظهر فلاقيوس جوزيفوس الكاهن والمؤرخ لينتصر للتاريخ . ورغم أنه لم يظهر يهودي آخر ليحترف مهنة المؤرخ إلا بعد ذلك بقرون فقد رأى باروشلي أن من الخطأ أن نستنتج من ذلك أن الماخامات كانوا لا يكثرشون للتاريخ ، وأن من المستحسن إرجاع موقفهم إلى "تشبعهم" تماماً بالتاريخ . فالتوراة ليست فقط كتاب التاريخ الذي وقع ولكنها تقدم أيضاً تسجيح التاريخ كله ، الحاضر منه

والمستقبل . وهي واضحة المعنى ، وما عداها ليس إلا عرضاً لاقية له .

ولا يهم هنا إلا هذه الغاية المحددة للتاريخ أو لكتابتها على الأقل . وهي غاية تشير عدداً من المسائل الصعبة وخاصة مايلي : أي رابط يربط بين التاريخ والمكان ؟ وهل كتابة التاريخ (ما زالت) ممكنة في غياب المكان أي بعد تقويض الهيكل الثاني ؟ وإنه لمن الممكن أن يستشهد في هذا الصدد بفلافيوس جوزيفوس ، فقد شدد على الصلة بين التاريخ ، من حيث إمكاناته وممارسته ، وبين الهيكل لأنه هو وحده الذي يفوض "المؤرخ" ويأذن له .

أما "يينه" المدرسة التي افتتحها يوشافان بن زكاي عند



نسخة من التوراة محفوظة في معبد بالقاهرة

تقويض الهيكل ، فقد كانت "صرحاً للذاكرة" ولم تكن مكاناً لإعداد المؤرخين . وقد أصاب فرويد عندما قال في سنة ١٩٣٨ ، "إن المحنة السياسية أملت بالأمة اليهودية قد علمت اليهود أن يقدروا الميزة الوحيدة المتبقية لهم - أي الكتابة - حق قدرها . فما أن دمر تيتوس هيكل أورشليم حتى بادر الماخام يوشافان بن زكاي إلى طلب الإذن بفتح أول مدرسة لتعليم التوراة في "يينه" . ومنذ تلك اللحظة ، صار الكتاب المقدس والاهتمام الروحي هما الرابط الذي يشد أواصر الشعب في شتاته" .



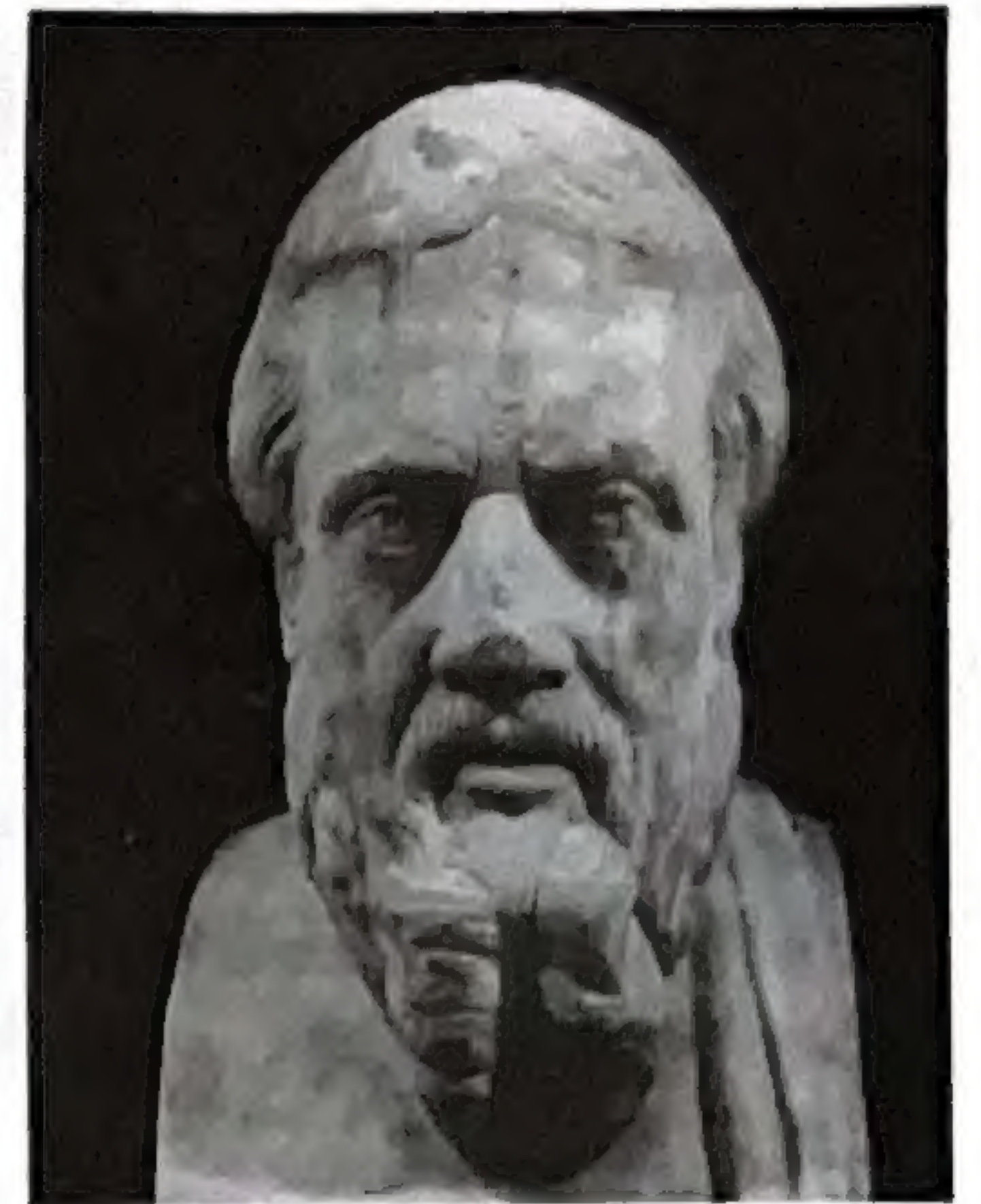
هندى براهمي من أتباع الليشوية ، وقد نلت على جبهة نصوص مقدسة . إلى اليسار ، براهميان يصليان في معبد شيفا بشهر امبارام جنوبى الهند .



فرانسوا هارترج  
فرنسي . مؤرخ ومدير البحوث  
بمدرسة الدراسات العليا في العلوم  
الاجتماعية بباريس . من بين  
مؤلفاته المنشورة من كتابة التاريخ  
في العصور القديمة وفي العصر  
الحديث كتاب عنوانه : Le ml-  
roir d'Herodote (امرأة  
هيرودوت) ، ١٩٨٠ وآخر  
هو : Le 19 siècle et l'histoire : Le cas Fus-  
tel de Coulange (القرن  
التاسع عشر والتاريخ : حالة  
فرستل دي كولانج) ، ١٩٨٨ .



## هيرودوت القصاص الفذ



بقلم : كارمين أمبولو

"هذا عرض للبحوث التي قام بها هيرودوت هاليكارناسوس لكيلا يعلى الزمن على مامر بالبشر من أحداث ولكيلا تفقد الأفعال الجميلة الرائعة التي أنجزها الإغريق والبرابرة شهرتها ، مع الاهتمام خاصة بالأسباب التي جعلتهم يقاتلون".

لقد قدم لنا هيرودوت في هذه الديباجة التي صدر بها "تواريخه" أول تعريف لأهداف المؤرخ ومهنته . وقبل ذلك يستين هاما أوضح سلفه هكتايوس الملطي الذي كان يحرص أن يخضع للبحث العقلي التراث الميثولوجي الإغريقي ، هدفه من الكتابة فقال : "هذا ما يقوله هكتايوس الملطي له" : إنني أدون هذه الأشياء متى رجع عندي صدقها . والواقع أن أساطير الإغريق عديدة ومضحكة ، وهكذا على الأقل تبدو لي . وقد أكد بهذا دور المؤلف مع الإلحاف في التأكيد وقرر الشرطين اللذين فرضا في العالم الهليني على فن التاريخ وهما : التدوين والصدق .

غير أن النغمة تغيرت بمرور هيرودوت فهو لم يحاول أن يقدم تفسيراً شخصياً لما يرى (وكثير ما كان يقابل بين الروايات المختلفة التي تلقاها) ، بل كان يريد أن يعرض بحوثه وسرد تحقيقاته . وكان قوام التاريخ عنده بحث ورواية في آن معا . وقد تقرر بحجته إذن العنصران

الرئيسيان اللذان قدر لهما على مدى قرون أن يكون قوام فن التاريخ عند الأغريق . وكان التركيز ينصب بعد هيرودوت تارة على عنصر البحث وتارة أخرى على عنصر الرواية ، ولكن مع إعطاء الأولوية لضرورة الصدق حتى عند أكثر المؤرخين ميلا إلى الرواية .

### هيرودوت القصاص

حين يصف هيرودوت عمله بأنه "عرض لبحوث" و"سرد لتحقيق" ينبغي أن نفهم من هذا التعبير المزدوج المعنى أنه يدل في الوقت ذاته على نقل الحادثة التاريخية نقلاً شفهيًا وصياغتها كتابية . فالشفاهي والمكتوب يمتزجان في "تواريخه" . وذلك أن هيرودوت كان يقدم مختلف الحكايات التي يتكون منها كتابه إلى الجمهور بقراءتها في اجتماعات عامة . وليس أدل على ذلك من الإشارات التي ترد في النص ذاته إلى ردود أفعال المستمعين ومن البنية الدائرية لنثر هيرودوت .

وقد أثرت هذه الطريقة تأثيراً عميقاً على تكوين العمل فقد يبدو متناسراً الأجزاء لغرض ما فيه من استطرادات تشابهك وتتداخل أحيانا كأنها الصناديق الصينية

أعلاه إلى اليمين ، فقال نصلي لهيرودوت . أعلاه الملك قورش عند دخوله بابل في موكب المهيب . رسم للنان مجهول يرجع إلى سنة ١٨٢٠ تقريباً

### Ampolo

كارمين أمبولو ، إيطالي ، يهتم التاريخ اليوناني بجامعة بيزا . أجرى بحراً عن نشأة روما القديمة وعن السياسة والمجتمع في اليونان القديمة وعن العلاقة بين الأسطورة والتاريخ . من بين مؤلفاته المنشورة كتاب عنوانه "La Città antica" (المدنية في العصور القديمة) ، ١٩٨٠ . كما ألف بالاشتراك مع م . مانفرديني كتاباً عنوانه "La Vite di Tesco" (الحياة في روما القديمة) ، ١٩٨٨ .

يجيد إثارة فضول الناس لأن فضوله هو نفسه كان كبيراً . كان يهتم بالوقوف على كل التفاصيل الغربية وعلى عادات الشعوب وعلى كل ما هو عجيب سواء في الأحداث أو المخترعات أو الآثار التاريخية كأهرام مصر ومتاهات "ميريس" وجدران بابل . وكان حب المعرفة يدفعه إلى السفر والترحال ، وكان يجري تحرياته لدى المصادر المطلعة في كل بلد كالعلماء والكهنة وأولدى أشخاص غير معروفين . وبما قال في هذا الصدد : "أوجه الأسئلة لأتني راغب في المعرفة".

وقد عرضت في الديباجة على نحو واضح أسباب هذه الرغبة العارمة في البحث والتنقيب . فقد جاء فيها أن على المؤرخ أن يحارب الزمن وأن يحفظ كل ما يبدو له جدير بالذكر . وكان في المدن والأماكن المقدسة في اليونان في ذلك الوقت أشخاص يعنون بالتذكرة وكانت مهمتهم هي التذكير بالوقائع الراهنة والبشرية وفي تسجيل هذه الوقائع ولكن مؤرخنا كان يزدى دوره على مستوى أعلى بكثير من المستوى الإداري والقانوني والديني لأولئك الأشخاص فقد أراد هيرودوت للأحداث والأفعال العظيمة التي رواها

أوالعرائس الروسية . ونظراً إلى أن هيرودوت كان رساما أكثر منه نحاساً فقد برع في الرواية وعرف كيف يخلط لب المتبع القاري . بوصف سمة أوحادية أو شخصية .

وكثير ما كان هيرودوت يروي حكاية فيتلو الرواية الشفهية برواية أخرى فهو بعد أن روى قصة أنتصار الأثينيين على الفرس في "ماراتون" ، يقف عليها بقصة "أبيزيلوس" حكي وهو يتحدث عن نكته أنه خيل إليه أن رجل من المشاء ضخم الجثة تغطي لحية درعه بأكمله وقف أمامه ، وأن هذا الشبح تخطاه وصرع جندياً كان يحارب إلى جواره . وهذا فيما قيل لي ، هي رواية أبيزيلوس . ويخطئ من لا يرى في هذه القصة سوى حالة من حالات عديدة يتنقل فيها هيرودوت خبراً شفهيًا . وذلك أنها مثل من أمثلة اللعب بالمرابا الذي لا يتوقف في قصصه . فابيزيلوس يحكي قصة ما وقع له فيردها غيره . وهيرودوت يسميها ثم يرويها بدوره .

وإن دل هذا على شيء ، فلا يدل على مجرد ولع بالغرائب والعجائب - الأمر الذي كثيراً ما أخذ على هيرودوت - بل على رغبة في إثارة الحيرة والدهشة . لقد كان هيرودوت





معركة بين اليونانيين والبرابرة. مقطع من لوحة رخامية بارزة كانت جزءاً من نصب تذكاري في كسانثوس بأسيا الوسطى وهي الآن في المتحف البريطاني بلندن.

الناحية التاريخية ، بل يجب كذلك أن تروق للناس وأن تحرك مشاعر الجمهور بقدر ما استشارت فضول الراوى سواء تناولت الجليل أو الخفي من الأمور .

ولكن ماهى المادة الأساسية التى يعالجها هيرودوت ؟ لقد خصص جزءاً كبيراً من عمله لتاريخ وعادات الشعوب التى أدمجت فى إمبراطورية فارس أو الشعوب التى حاربها الفرس بلاطائل مثل الصقالية ، وذلك بالإضافة إلى الأحداث المرتبطة بالمدن الإغريقية فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد . غير أن الكتاب يبلغ ذروته بالنزاع الذى نشب بين الإغريق والفرس ، والذى يستغرق عرضه أقل من نصف "التواريخ" ككل .

وهيرودوت لا يتحدث إذن عن شعب واحد ، ولا عن مدينة إغريقية واحدة ولا عن بلاد اليونان جميعاً . وهو لا يقيم الحواجز ولا يبدى ازدراء لأحد . إنه باختصار لا يفرق فى الحقيقة بين الإغريق وغيرهم ، أى من كانوا يسمون "برابرة" . فقد ولد فى فترة سادت فيها النسبية الثقافية بفضل مذهب السوفسطائيين ، وكان ينتمى إلى منطقة تقع على الحدود الفاصلة بين العالم الشرقى والعالم الغربى . ولذلك كان موقفه من الثقافات الأخرى مزيجاً من الفضول والاهتمام بل الاحترام .

غير أنه كان ينظر إلى هذه الثقافات بنظرة الإنسان الإغريقى . وكان يوزن بمفهوم يونانى قواماً مؤداه أن الشخص الآخر هو الصورة العكسية للذات ، وهو إذن يصور سلوك الشعوب الأخرى على أنه تقبض لسلوك

أن تظل باقية على الزمن وأن تحتفظ ببهائنها وشهرتها . ولذلك يبدو هيرودوت من بعض النواحي مكملًا لشعراء الملاحم . فإذا كان شاعر الملحمة يروى مآثر الأبطال ، فإن المؤرخ يروى أعمال البشر .

وقد ترتب على هذا الفضول الذى لاتخمد جذوته من جانب هيرودوت الباحث والرحالة أن اتسع إطار العمل التاريخى اتساعاً كبيراً فلم يعد يقتصر على الأساطير وقوائم الأنساب والبيانات التاريخية - الإثنوغرافية عن الشعوب والمجتمعات . وعلى الرغم من أن هذا المؤرخ كان يرمى إلى تسجيل كل ما يمكن تسجيله فقد كان عليه أن يعد مجال اختياره وأن يكتفى بذكر الوقائع التى يريد أنقازها من النسيان ، فعاكل شئ . جدير بالتخليد عند مؤرخ جعل دأبه تسجيل "ما هو رائع وجميل من الأعمال" وكان هيرودوت على علم بالمكانة التى تحتلها فى تواريخه استطرادات المؤرخ القصاص الطويلة . بل لقد اعترف بذلك فكتب ذات مرة يقول : "لقد طاب لقصتى منذ البداية أن يدخلها الاستطراد" ولا ينبغي لتفهم هذا الموقف أن نرجع إلى معايرنا الحديثة ولاحتى إلى المؤلفين الإغريق اللاحقين الذين كانوا يكتبون للقراء دون غيرهم . وكانت كتبهم بالتالى تصبى من كتب هيرودوت . وذلك أن العمل الذى يتجه أولاً إلى جمهور من المستمعين ولا يتجه إلى القراء إلا فى وقت لاحق يخضع لمقتضيات الشفاهة لانى بنائه فحسب بل فى اختيار مادته . ولا يكتفى فى مثل هذا العمل أن تكون تفاصيله ذات دلالة أو مؤشر للإعجاب من

هيرودوت أن ملك الفرس أراد أن يصرف الفرس عن فكرة الإقامة فى بلاد أرضها خصبة فقال لقواته : "لقد فضل الإغريق الاحتفاظ بحريتهم بالإقامة فى أرض جدباء على أن يكونوا عبيداً يزرعون سهولاً خصبة لحساب الغير" ونحن إذن بإزاء حقيقة قررها ملك الفرس وإن كانت تصدق على الإغريق فى المقام الأول . كذلك روى على لسان الفرس مناقشة عن خير أشكال الحكم : الديمقراطية أو الأوليجاركية (حكم الأقلية) أو الملكية . إن الشخص الفارسى عند هيرودوت إنسان أجنبى وعدو ولكنه لا يختلف كل الاختلاف عن الشخص الإغريقى بل إن من الممكن نظرياً على الأقل أن يكون على شاكلته . كما أن الإغريق يشبهون "البرابرة" من بعض النواحي .

هذا ولم يبحاول هيرودوت أن يصف سلسلة من الأحداث الأسطورية أو التاريخية منذ مبتدئها أو بداية من معلم من معالم تاريخ الإغريق التقليدية على نحو ما فعل غيره من المؤرخين اللاحقين . وكان مجال اهتمامه - أى الحروب الميدانية والأجيال السابقة عليها مباشرة - يشمل فترة حديثة نسبياً . أما الأحداث الضاربة فى القدم فقد ترك أمرها للشعراء . وخبراء الأنساب . وقد اتخذ الموقف ذاته فيما يتعلق بمصر ففرق بين ما شاهده بنفسه وما انتهى إليه خبره من المصريين ، وإذا كان قد سعى إلى جمع المعلومات من علماء الفرس والفينيقيين والمصريين عن أحداث أسطورية كخطف هيلانة وحرب طروادة فقد كان يهوى بذلك أساساً تحديد المقدمات التى مهدت لحروب الفرس مع الإغريق وذلك بغية فهم أسباب النزاع .

ولقد وجه هيرودوت فن كتابة التاريخ وجهة حاسمة حين قرر أن يصب اهتمامه على الأحداث القريبة التى يمكن معرفتها بصورة مباشرة ثم جاء تيوسيديد فأمن السير على هذا الاتجاه بالتركيز على الفترة التى عاصرها

والتالى طريقة للفهم . ولكن هيرودوت لا يغفل أوجه الشبه فهو يبرزها بأمانة كما فعل فى وصف أهل أسيرطة فهو يقول إن عاداتهم لدى موت ملوكهم "هى نفس عادات برابرة آسيا" وأن هذا الشعب "يشبه المصريين إذ أن المتأدين وعازلى الناي والطهارة يتوارثون حرفهم أباً عن جد" . وإذا كان هيرودوت لا يذهب مثل تيوسيديد إلى حد القول بأن الإغريق كانوا يعيشون فى الماضى كما يعيش البرابرة فى عصره ، ويقم مسافة فاصلة بين العالمين فإنه لا يعتبر هذين العالمين كتلتين متباينتين إحداهما أدنى من الأخرى فى كل شئ . أو أقل تقدماً عنها من الناحية الثقافية . وهو يعزو إلى البرابرة بالرغم من اختلافهم عن الإغريق ، كثير من الابتكارات ، ويرى مثلاً أن آلهة اليونان من أصل مصرى قديم ، وأن الحضارة المصرية أعرق من حضارة الإغريق ، كما يعترف للفرس بالعديد من الفضائل .

"وتنتهى التواريخ" بحكاية ذات دلالة . فقد روى

مشاهد من حصار طروادة كما ترى على لوحة للنفوس البارزة من الحجر الجيري (من القرن الرابع ق م) . وكانت توجد فى مواقع ترمسا القديم بتركيا . وهى الآن فى متحف الفن بسمرا .





## تيوسيديد الشاعر

بقلم: بول كارلتيدج

لا نكاد نعرف شيئا عن تيوسيديد إلا القليل الذي شاع أن يروح به في الكتاب الوحيد الذي كتبه وأن لم يتسببه وهو تاريخ الحرب البيلوبونيزية. فقد ولد حوالي سنة ٤٤٥ قبل الميلاد لأسرة أرستقراطية أثينية ذات ثروة وعلاقات أجنبية قيمة. وكانت الإمبراطورية الأثينية التي تسطر على بحر إيجه وتصادى الفرس في أوج قوتها بفضل أسطول حربي يتكون من سفن فيها ثلاثة صفوف من المجاذيف ولكل منها ١٧٠ مجذافا. وكان النظام الديمقراطي الأثيني قد تجدد عندئذ لمهددا جذريا بفضل إصلاحات بيركليز.

وكانت الإمبراطورية والديمقراطية وبيركليز هي المحاور الثلاثة التي أدار عليها تيوسيديد عرضه الأخاذ للحرب التي نشبت بين أثينا وإسبرطة (أيضا بين ٤٣١ و ٤٠٤ ق م). وإن كانت القصة قد توقفت في منتصف جملة عند صيف سنة ٤١١.

وقد اشترك الراوي هو نفسه في الصراع الأيديولوجي والعسكري، ولكن مشاركته كانت غير عادية. ففي عام ٤٢٤ ق م، انتخبته الجمعية الديمقراطية للمواطنين الأثينيين جنرا لا (استراتيجوس)، ولكن العام لم يتصرف حتى نفي لخطأ لم يرتكبه.

وبقي في منفاه حتى انتهت الحرب، وأتيح له فيما ادعى أن يفيد من قدرته على رؤية الأمور من الجانب الآخر - أي الجانب الإسبرطي. إلا أن موضوعيته التي تباها بها لم تقعه من أن يكيل الشائعات ليركليز لمزايده كرجل دولة وأن يدين بلا هوادة جنون الشعب الأثيني وقواده الديماغوجيين. فبحر من خلال ذلك عن آرائه بشأن مصيره ومصير أثينا السياسي.

وقد أراه تيوسيديد لتاريخه أن يكون "إنجازا باقيا على مر الزمان" وأن يرى كذلك. ولقد تحققت له هذه الرغبة لسببين: أولهما أن تيوسيديد - كما يوحي عنوان الكتاب - قد استطاع أن يفرض على الأجيال التالية رؤيته للصراع. فلقد كانت من الحرب وجهة النظر الإسبرطية "حرما أثينية"، حرما ضد أثينا وحلفاء إمبراطوريتها ودمهاها. ولليل هم الذين شاركوه عندئذ رأيه أن الإسبرطيين هم الذين بدأوا الحرب وأنها كانت حرما واحدة

مقطع من قديم عليه أشكال  
سروا. من مصنع الخزاف  
بيلوبونيز. حوالي ٥٢٠ ق م.

متصلة لمدة سبعة وعشرين عاما ولم تكن جولات من القتال استمرت كل منهما عشر سنوات وتخللتها سبعة أعوام من السلم غير المستمر. ولكن أسلوب تيوسيديد من القوة بحيث يصعب أن نختلف معه لا فيما يتعلق بالصراع العسكري بين أثينا وإسبرطة فحسب ولكن فيما يتعلق أيضا بالنصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد أو ما يسمى العصر الذهبي لأثينا في عهد بيركليز. والسبب الثاني هو الخطب والمناقشات التي وردت في "تاريخ" تيوسيديد والتي تستند في معظم الحالات على معلومات جديرة بالثقة بشأن ما قيل في الواقع أو ما طرح من أفكار بصفة عامة، ولكن تيوسيديد إعاد صياغتها في جميع الحالات بكل ما يمتاز به من قوة الذهن وتفرد الأسلوب. ومازال الجدل يدور على نطاق واسع بشأن العلاقة الحقيقية بين هذه الإبداعات التيوسيديدية وبين أصولها المفترضة وبشأن المقصود منها في نطاق بنية العمل ككل. وقد أشهد الجدل بصفة خاصة حول ما يسمى "المحاورة الجبلية" أي النص الذي أورده تيوسيديد للمفاوضات التي أجريت سرا في ٤١٦ - ٤١٥ ق م. بين القيادة العليا الأثينية وبين الحكومة الأوليغاركية لدولة جزيرة ميلوس في بحر إيجه. ومن الواضح أن تيوسيديد ما كان ليعرف على وجه الدقة كيف جرت المفاوضات، وأن الموضوع في حد ذاته ليس بذى أهمية تاريخية قصوى. ولذلك يرى أن تيوسيديد "المؤرخ العلمي" يفسح المجال هنا على أوضاع نحو لتيوسيديد الناقد الأخلاقي والمنظر السياسي والشاعر الناصر التراجيدي.

فما هو الدرس ذو القيمة الباقية الذي أراد تيوسيديد أن يلقننا أيها بطريقته هذه في العرض الدرامي وهي الطريقة الغربية "علينا" كل الغرابة؟ يبدو لأنه أراد أن يعلمنا أن بني البشر بوصفهم أفرادا في دول لا يراعون في سلوكهم بإزاء الدول الأخرى المعايير الخلقية التي يسلّمون بها عادة في نطاق مجتمعاتهم، وإنما يراعون مصالحهم الجسدية كما يفهمونها بمعنى الأمن والتفرد والمنفعة الاقتصادية. فإين عسانا نجد في عالم اليوم موضحا واحدا من مواضع النزاع المحتمل لا يصدق عليه ذلك القانون الهديدي؟ ويبدو إذن أن تيوسيديد سيبقى معاصرا على الدوام.

Carltidge  
بول كارلتيدج  
مؤرخ بريطاني، محاضر  
في الدراسات القديمة بجامعة  
كيسبرج (المملكة المتحدة)  
ألف كتاب "Sparta and  
Lakonia: A Regional Survey"  
والكتاب "Agesilaos"  
(البيسلوس ١٩٨٧)



## المؤرخون الصينيون وديوان التاريخ

بقلم: هيو داتونج

يروى أن أول مؤرخ صيني كان يدعى كانججي، وكان في خدمة هوانج دي (الألف الثالث ق م). الإمبراطور صاحب الشهرة الأسطورية. ويقال إنه اخترع ال "شي" أي العلامات التي مكنت من كتابة التاريخ. وحذر بالذکر أن العلامة التي تدل على كلمة "شي" يمكن أن تقتل أيضا بدا ولوحا مصنوعا من الخيزران للكتابة.

وكان المؤرخ في ذلك الزمن القديم شخصية جبارة يكتنفها الغموض، فهو عالم فلك وضارب رمل، ومكلف

أصله كانج جي مخترع  
علامات الكتابة الصينية كما يرى  
في لوحة القرن السابع عشر. إلى  
البسار، الإمبراطور كسيران  
دي مقطع من لفيفة للمصدر  
منوانها الأباطرة الثلاثة عشر.  
وتنسب إلى بان لين (القرن  
السادس الميلادي)







**سيما كيان**  
أبر التاريخ الصيني  
سيما كيان (١٤٨ - ٨٦ ق. م.) هو مؤسس التاريخ في الصين. وقد خلف أباه في منصب كبير المؤرخين في بلاط الإمبراطور وودي من أسرة هان الغربية (٢٠٦ ق. م. - ٨٦ ق. م.). ويتضمن عمله الأعظم أي كتاب "شي جي" ("مذكرات تاريخية") الذي ألفه في ٢٠ سنة مائة وثلاثين فصلاً وما يقرب من ٥٢٨٠٠٠ علامة ويشمل ٢٤ قرناً من التاريخ بداية من حكم أول إمبراطور في بداية القرن الأول قبل الميلاد.

وينقسم الكتاب إلى خمسة أجزاء مختلفة. وهناك أدن حوليات تتعلق بالأسر الحاكمة ("شي جي")، وحوليات تتعلق بالأسر ذات المكانة الرفيعة ("شي جي")، وجدول الأنساب ("ياو") ورسائل (شرا) في الطبقات والفلك والتقويم والاقتصاد والجغرافيا والأعمال الهندسية وتراجم (ليزهران) لغات مختلفة من الأفراد: الساسة والعلماء والاستراتيجيون والكتاب والفرسان والجوالة والأطباء والمتجسسون والتجار.

وبفضل هذه التراجم (٧٠ فصلاً) وجد سيما كيان التاريخ وجهة جديدة. فلهو قد أضاح إلى التاريخ العام الذي يتناول العهود المتتالية لأبناء السماء (الآباطرة) وإلى التاريخ الذي يصف الوقائع تاريخ الأفراد الذي يتم عن الأوضاع الاجتماعية والمهنية.

وفي ذلك العصر كان كبير مؤرخي البلاط مازال متجسماً يعني بالتقويم. ولكن سيما كيان أعطاه دوراً أشبه بدور المؤرخ المعاصر. وقد حذا حذو كنفوشيوس مؤلف "حوليات الربيع والخريف" فاستند في أعماله إلى البحوث المطولة واختيار الوثائق بطريقة نقدية.

وقد بدأ دراسة النصوص القديمة بداية من سن العاشرة لكي يكون جديراً بالمهمة التي تنتظره. وفي سن العشرين غادر مكتبه وقام برحلة طويلة في الأقاليم حيث صادق كثيراً من الرجال المرموقين ودروس المواقع الشهيرة واتصل بكبار العلماء.

وبذلك مهد الأرض لتأليف مصنفه الضخم. وسرعان ما أصبح كتابه "شي جي" قوة جاز لتاريخ الأسر الحاكمة بفضل أسلوبه الفذ وفكره الثاقب. وصار جميع المؤرخين الذين خلفوه يتوخون المثل الأعلى كما حدده سيما كيان: "تحليل الصلة بين الكون والبشر تحليلًا عميقًا وإدراك مغزى التحولات التاريخية، وبذلك يمكن للمؤرخ أن يكون مذهبه الخاص".

هو داتونج

أعماله تباين روحه لسيما كيان  
إمبراطور من أسرة تانغ (القرن السابع الميلادي) صورة رسمها على الحرير فنان مجهول من فترة كنج القرن السابع عشر - القرن العشرين.

أعماله إلى الصين خطة مدينة شينجو خاصة أسرة شو الحاكمة في فترة الممالك الثلاث (القرن الثالث)، وهي اليوم عاصمة مقاطعة شينشان في وسط الصين.

العاشر الميلادي. والكتاب عمل مشترك تعاون فيه مع جوانج ثلاثة مؤرخين لا يفلون عنه شهرة. وقد جمعوا أكبر عدد ممكن من الوثائق في المكتبات الرسمية والخاصة وصنفوها بحسب الموضوعات ثم رتبوها زمنياً. وبعد ذلك تولى سيما جوانج عملية الاختيار الأخيرة وحرص في ذلك على استخلاص أنفع المعلومات التي تهم الإمبراطور من تلك المواد الهائلة.

فلما كان عهد مملكتي الجنوب والشمال (٢٢٢ - ٥٩٨) بما فيه من اضطرابات سياسية اقتصر دور كبير مؤرخي البلاط على مجال الفلك والتقويم. بينما أقيمت مهمة تسجيل أعمال الإمبراطور على عائق سكرتارية من المؤرخين.

("تاريخ أسرة هان") الذي كتبه "يان جو" (٣٢ - ٩٢ ق. م.) بالاشتراك مع عائلته.

وكان كتاب "شي تونج" ("عموميات حول التاريخ") الذي ألفه ليوزي جي (٦٦١ - ٧٢١ م.) مؤرخ الإمبراطورة وو زيان (٦٦١ - ٧٢١ م.) أول مؤلف ظهر فيه النقد التاريخي. فقد أشتراط صاحبه أن تتوافر في المؤرخ ثلاث صفات أساسية هي المهية الأدبية والمعرفة وروح النقد. كما ميز ست مدارس مختلفة وصنف كل الأعمال التاريخية في نوعين رئيسيين هما: الحوليات والتراجم.

وهناك تاريخ جامع آخر هو "زيدهي تونجيان" ("مرآة عامة لإرشاد الحكام") وهو من تأليف سيما جوانج (١٠٩٩ - ١٠٨٦). وتتضمن هذه المجموعة الضخمة من الحوليات ٢٩٥ فصلاً وتشمل ١٣٠٠ سنة من التاريخ حتى القرن

كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق. م.) الفيلسوف والمفكر يضطلع فيما يروى بتصنيف حوليات مملكة "لو". وقد صار التفسير الذي وضعه المؤرخ الكفيف كيومنج على تلك الحوليات في عداد الروائع.

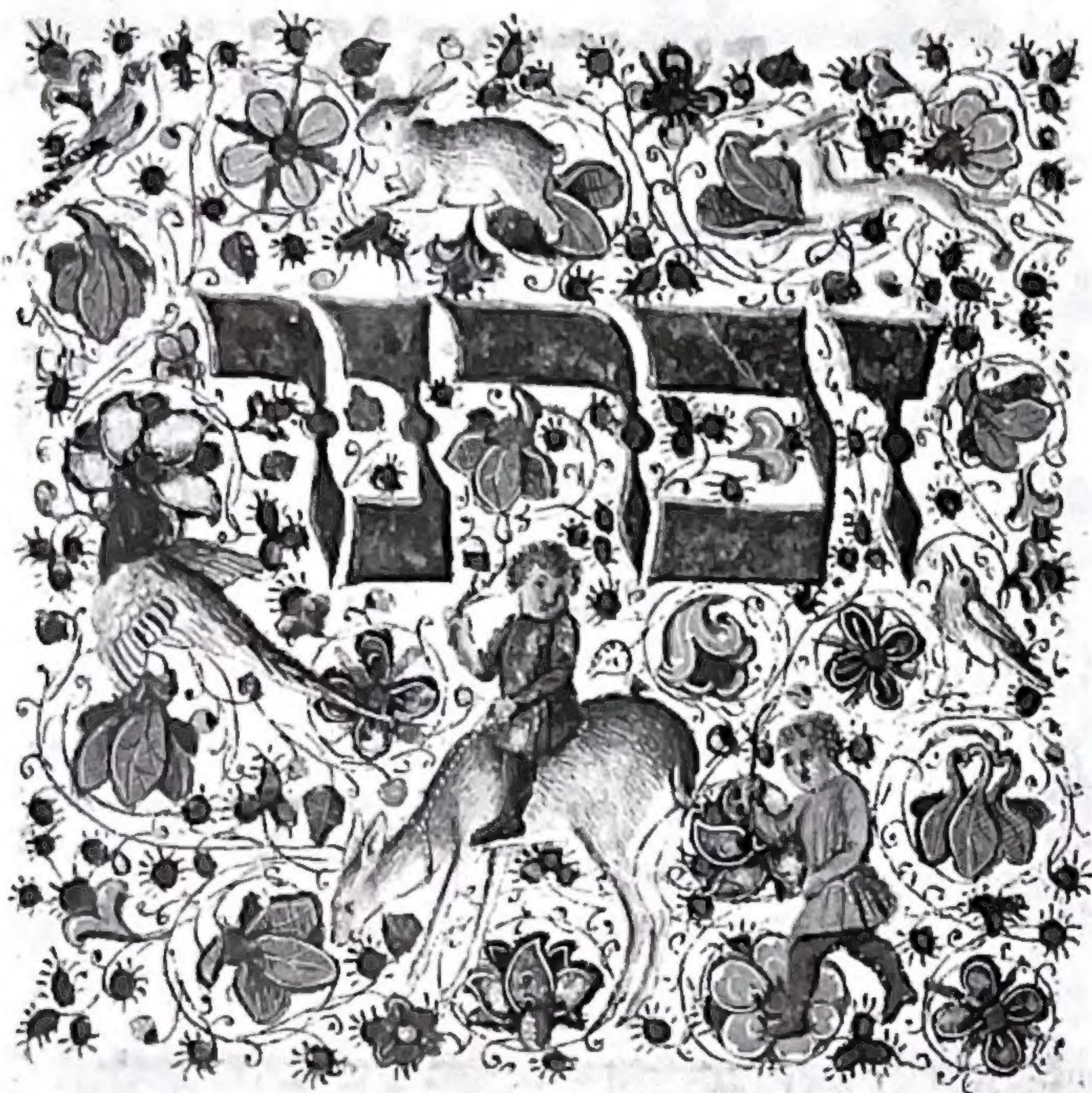
أما الرجل الذي يعد أباً التاريخ الصيني فهو "سيما كيان" (١٤٨ - ٨٦ ق. م.) وكان كبير المؤرخين في بلاط الإمبراطور الشهير "هان وودي" (١٤١ - ٨٧ ق. م.). وذلك أن كتابه "شي جي" ("مذكرات تاريخية") الذي خصص أكبر جزء منه للتراجم، قد جدد وجهة النظر التقليدية للتاريخ بحيث جعل للنشاط الإنساني وللشخص مكانة رئيسية. وأضحى ذلك الإطار فيما بعد نموذجاً يحتذى في كل المؤلفات التي تؤرخ للأسرة الحاكمة التالية. ومن هذه المؤلفات تاريخ رسمي شهير هو "هان شو"

من ثم بتطبيق أقوال العرافة ومراقبة أعمال الملك ووزرائه والإشراف على حفلات التنصيب وعلى عبادة السماء والأرض والأصنام.

وجرت العادة أن يحيط بالإمبراطور كلما عقد اجتماع في القصر مؤرخان يراقبان كل منهما على حدة. أقواله وأفعاله، وتقتضت تلك الملاحظات اليومية عن كتابين تاريخيين رئيسيين أولهما "شانجيو" ("أقوال الملوك السالفين") وثانيهما مجموعة حولية عنوانها "شونكيو" ("حوليات الربيع والخريف").

كما كان للتاريخ علاقة وثيقة مع الفلسفة. فكان لاوتسي، مؤسس المذهب التاوي (القرنين السادس والخامس ق. م.)، مسؤولاً بصفته مؤرخاً رسمياً عن محفوظات القصر الملكي في عهد أسرة "تشو" وكان





الكلمة الأولى في الدعاء الذي يبدأ بقول: "تذكرونا في الحياة" كما رُسِّت في مخطوطة يهودية مزخرفة من شمال إيطاليا (أحوالي ١٤٥٠ - ١٤٧٠).

**بقلم : ليونيل كوشان**

أوحى معهنه فى العبارات التالية : "فى شعبى بأسره لم يظهر حتى الآن فى إسرائيل مؤرخ واحد ياتل فلاتيرس جوزيفوس . . . فقد صمت جميع المؤرخين ، أجل صمتوا حتى ظهرت أنا يوسف".

فكيف نفكر هذا الصمت الذى طال خمسة عشر قرنا بين  
فلافيوس جوزيفوس ويوسف ها - كوهين ؟ وهذا السؤال  
يكتسب أهمية أكبر لو عرفنا أن اليهود بصفة عامة  
يعتبرون أنفسهم شعبا تاريخيا بمعنى الكلمة ، أفلا يشكل  
كتابهم الأساسى ، وهو التوراة التاريخ الوطنى للعبرانيين ؟  
والتينجلى لهم رهبان أساسا على صعيدين : صعيد العلاقة  
الخاصة وصعيد التاريخ ؟

## حضور الماضي

ولكن هنا وعلى وجه التحديد تكمن المشكلة، فالمنهزم الثوراتى لا ينظر إلى الماضى كحركة انطلقت من نقطة

ناشد سيدنا موسى قبيل وفاته بقليل شعبه ألا يهمل  
ماضيہ ، قائلا له :

”اذكر أيام الدهر وتفهم سنى جيل قجيل . سل أباك  
ينبئك ، وأشياخك بعدثوك“

(سفر تثنية الاشتراء ، ٣٢ ، ٧) .

ورغم هذه المشادة أبدى اليهود عدم ميلهم إلى دراسة الماضي وكتابة التاريخ. وفي السبعينات من التاريخ الميلادي كتب فلافيوس جوزيفوس تاريخ المقاومة اليهودية ضد روما ، ثم ألف بعد ذلك بعشرين سنة تقريبا تاريخه العام "الآثار اليهودية" .

ثم مر حوالى ألف وخمسمائة سنة إلى ان أشرف القرن السادس عشر على نهايته فظهر أول مؤلف للتاريخ اليهودى هو : "تاريخ ملوك فرنسا والسلاطين العثمانيين" للحاخام يوسف ها - كوهين (١٤٩٦ - ١٥٧٨) ، الذى



في هذا الرسم الصيني (القرن التاسع عشر) تصوير للقاء الذي جمع فيما جاء في الأساطير بين كنفوشيوس ولاو - تزو (لاوتزي) .

ديوان التاريخ

وفي القرن السابع ، أهدى الأباطرة الأول في أسرة تانج اهتماما شديدا بفكرة التاريخ كمرآة تستفاد منها الدروس. فكان أن أنشأ الإمبراطور تاي زونج (٦٢٦ - ٦٥٩) "الشيايجون" أي ديوان التاريخ ليضطلع في المقام الأول بتصنيف التواريخ. وصارت هذه المهمة تسند لموظفين معينون لهذا الغرض بعد أن كانت تسند لمؤرخين بالوراثة. وكان للإمبراطور في أغلب الحالات الكلمة العليا في هذا الديوان الذي كان رؤساء التحرير فيه هم كبار الوزراء .

وكان لهذا التنظيم البيروقراطي آثار حاسمة في الأزمنة التالية. وذلك أن حرية المؤرخين قيدت في كل ما يتعلق بالشؤون السياسية والرأى العام ، وكان على المكلف بإدارة هذا العمل الجماعى الضخم أن يكون في نفس الوقت عالما وإداريا بارعا ، وهما صفتان قلما يجتمعان في شخص واحد. وذلك أن تقسيم العمل على هذا النحو كان يعنى أن يفرق المؤرخون في بحر من الوثائق. يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يختارون من بين عامة الشقيين دون الاهتمام بمعرفة التاريخ ، وهو ما كان يعنى أعضاء طابع رسمى على الخلط التقليدى بين الأدب والتاريخ .

ونظرا لرداءة المؤلفات الصادرة عن الديون  
الامبراطورية، ظهرت في موازاتها كتابات تزوِّج للأسر  
المالكة. وفي الفترة الممتدة من أسرة تانغ حتى أسرة يوان  
(١٢٧٧ - ١٣٦٧) تحول موقع الاهتمام في التأريخ  
بمحيث وضعت مؤلفات من نوع جديد مثل "تولجيديان" الذي  
ألفه دوي، وكان أول تاريخ عام عن النظم والمؤسسات -  
و"تولجيزي" (دراسات منونجرافية عامة) الذي ألفه زنج  
كهاو (١١٠٤ - ١١٦٢) و"وينكسيان تونج كاو" (نقد  
عام للوثائق) الذي ألفه "ما دولين" (١٢٥٤ - ١) وكانت  
هذه المؤلفات موسوعات حقيقية، فقد كان كل منها  
يضمّن أجزاء حول موضوعات متنوعة كالإقتصاد  
والسياسة والتعليم والأديان والعادات بل واللغة.

وفي الفترة الانتقالية بين أسرة منيع وأسرة كنج  
(١٦٤٤ - ١٩١١) ألف هوانج زونجسكي (١٦٠٩ -  
١٦٩٥) كتاب "منجرو كسريان" (رسالة عن تعاليم  
المدارس الكونفوشية في عهد المنج) ، فكان أول دراسة  
متعمقة حول تاريخ المذاهب والفكرين . كما ورد في كتاب  
"دوشي فانجيو جياو" لجوزيو (١٦٢٤ - ١٦٨٠) تحليل  
للصلات المتبادلة بين التاريخ والبيئة الجغرافية .

وأبدي أباطرة المانشو، وخاصة كانجسى (١٦٦٢ - ١٧٢٢) وكيانلونج (١٧٣٦ - ١٧٩٥) اهتماما شديدا بكتابة التاريخ. فكان هناك ديوان للتاريخ لأسرة منغ التي أطيح بها لتوها، وألف من هذا التاريخ ٣٣٦ مجلدا في ٨١ سنة. وتولت دواوين أخرى كتابة تاريخ الأسرة الحاكمة والتاريخ القومي والحياة اليومية للإمبراطور.

وينتظى هذا النوع من الوثائق على ثروة ضخمة من المعلومات المفيدة للمؤرخ المعاصر . فقد كانت كتابتها تقتضى تسجيل كل ما يفعله الامبراطور ومايلبسه وماياكله بداية من لحظة مغادرته جناحه الخاص عند مطلع الشمس . وكان موظفو المحفوظات الإدارية يتولون تلخيص واستكمال هذه الملاحظات التى نشرت فى ظل الامبراطور التالى تحت عنوان "شيلو" أى "وثائق صحيحه" .

كما ألفت مصنفات هامة تضم نصوصا قديمة وحديثة ،  
وذلك مثل "جوجين توشو جيشنج" و "سبكو كوانشو"  
الذين استنسخ فيهما مايزيد على ٣٠٠٠ مؤلف وثمة  
عمل ضخم آخر أمر بتأليفه الأباطرة ، وهو جمع  
المونوغرافات المحلية - الجغرافية والإنشجرافية  
والأركيولوجية - التي كتبت في كل أنحاء الصين .

وبلغ دور المؤرخ الرسمي ذروتَه في ظل  
كيانِ المونج. وعندما تدهورت أسرة مانشو بدأ زوال معظم  
التقاليد الصينية في مجال التاريخ. وكان كتاب  
«كنجشيجاو» (مشروع تاريخ رسمي لأسرة كنج) بمثابة  
الأغنية الأخيرة للبيعة بالنسبة لتلك التقاليد.

Datong هيروا تونغ  
• مؤرخ صيني • بحري بحرنا  
متحف القصر الإمبراطوري في بكين



## HISTOIRE

DE LA  
GUERRE DES IVIFS  
CONTRE LES ROMAINS  
RESPONSE A APPION  
MARTYR DES MACIABEES  
PAR  
FLAVIUS IOSEPH

ET DE VIE ECRITE PAR IOSEPH  
ANNE  
DE VIE ECRITE PAR IOSEPH  
ANNE  
DE VIE ECRITE PAR IOSEPH  
ANNE



PAR MONTMAYE ALAIN DE D'ARTILLER  
Avec approbation et privilège

أعلاه صفحة الخلال من  
طبعة فرنسية (١٦٦٨) من كتاب  
ملاقيس حزن يوس "تاريخ الحرب  
اليهودية ضد الرومان"

أسيانيا ، ويتجلى تجديده عندما يرفض تفسير هذه الآلام بأنها من تدبير العناية الإلهية أو بوصفها قصاصا مساويا ، بل ويفسرها على أساس علاقات القوى التاريخية وموقف اليهود أنفسهم . فقد كتب يقول : "يدوم النفي بشكل طبيعي من جراء التعصب الديني ، وورغبة الملك (الأسباني) في إخضاع كل شيء . لمعتقداته" ولكنه يرى كذلك أن اليهود بنظرهم ورقتهم الاختلاط ، وإيمانهم الكاذب ، قد تسببوا إلى حد ما في الآلام التي حاقت بهم .

وهؤلاء المؤرخون اليهود الذين ظهرت في القرن السادس عشر لم يتكروا خلفا مباشرا لهم . وكان روح

اليهود الأرثوذكسي طبقا للتقاليد الماخامية ، فإن روسي تطرق إلى نقاط معينة مثل الكتابات اليهودية الهلنستية لقبولون السكندري (وهي كتابات كان الماخامات قد تجاهلوا عمدا) ، ومصادر تورا السبعين والظهور التأخر للتقويم العبري ، والقيمة التاريخية للفركلور والأمثال . ومن محاسن روسي الأخرى ، معرفته المتعمقة بالمصادر غير اليهودية القديمة أو الوسيطة أو المعاصرة ، وهو ما يميزه عن أبناء ملته . أما كتاب "شيع يهودا" فإنه من وجهة نظر التاريخ الحديث ، يسترعي الانتباه برويته الواقعية . ففيه يتساوى ابن فرغا أساسا عن آلام اليهود وما تعرضوا له من ألوان الاضطهاد التي تعرض هو نفسه لها عندما طرد من

السادس عشر ، باستثناء مؤلفي الحوليات والتكبر . وفضلا عن الكتاب الرائد ليويس ها - كوهين وأينا عدة محاولات مختلفة لكتابة التاريخ اليهودي مثل : "شيع يهودا" للمخام سولومون بن فرغا ، الذي صدر في تركيا نحو سنة ١٥٥٤م ، وكتاب "الأنساب" لإبراهيم زاكوتو (١٥٠٤م) ، و"سلسلة الأخبار" لجدايه بن يحيى (البندقية ١٥٨٧م) ، و"غصن داود" لدافيد غانسي (براغ ١٥٩٢م) . وفي إطار نوع مختلف شيئا ما ظهر "تور العيون" لأزاريا دي روسي ، الذي صدر في مانستر عام ١٥٧٢م ، وهو من الكتب ذات الأهمية التاريخية الكبرى . وفي حين سمي زاكوتو وابن يحيى إلى كتابة تاريخ

علاء رسم يهودي في إيجيبت  
من القرن العاشر ويصف  
أحد أوثق الطغاة العشرة التي  
حلت مصر . وترى فيه السبل وقد  
تحولت إلى دم  
إلى العيون . قتال من العدا  
رأس امرأة يهودية (القرن التاسع  
القرن التاسع ق . م)



معينة ، ولكن كظاهرة دورية متكررة . وهي تحدث دائما بنواتر قري وفقا للتقويم اليهودي الذي يحفل بسلسلة من الأعياد التي لا تحتفل بالأحداث الماضية إلا بقصد إحيائها . ومن ثم فإن نصر "الهجاء" الذي يشلى كل عام في عيد النصح احتفالا بالخروج ، يأمر المؤمنين بأن : "كل واحد في كل جبل لابد وأن يعتبر أنه قد خرج هو بنفسه من مصر" . وتفسر أهمية هذا الماضي الحي دائما عدم اهتمام اليهود نسبيا بتاريخهم اللاتقوى للثورة . فقد استندت الكتب المقدسة كل ما هنالك من تقويم تاريخي ، لأنها تشرح لليهود من أين جاءوا ، ومن هم ، وإلى أين يسرون . واليهودي يخضع تاريخيا للقتل . والقرن نظرا لأن تاريخه قد كتب بالعمل - فرحى سنا . بعده له دورا حاسما في النظام المستقبلي للعالم ، حيث "تبارك بك جميع عشائر الأرض" سفر التكوين ١٢ . ١٣ .

فإسرائيل يعرف غايته مهما كانت آلامه ومعنه . كما أن محي . مسيحه المنتظر مسجل في صميم النظام العالمي . وفي مواجعة هذه اليقينيات التاريخية التي تقوى وتؤكد في الثروة والتلوس . يبدو ما حدث منذ ذلك التاريخ لقرا لا معنى له ولا يستحق الوقوف حياه . فهو لن يضيف بأي حال من الأحوال ، أي شيء هام لما أنزل من قبل . فالنشأ والمستقبل والنهاية كلها مشكلات قد حلت عند اليهود .

وهذا على وجه التقريب هو الموقف الذي ساد القرن





صفحة من الجليل عسري  
زخرفة يوسف صافراتي من  
سفرها بألمانيا ١٩٩١.

"الأثوار" المرجح نحو القيم العلمية والتقدم ، لا يتلام على أي حال مع دراسة الحالات الخاصة . ومثل ذلك ما قاله موسى مندلسون في أواخر القرن الثامن عشر ، وهو الممثل الرئيسي للحركة اليهودية المستوحاة من عصر "الأثوار" - أوما يسمى "الهكسالا" - عندما أعلن دون مواربة "أن التاريخ يجعلني دائما أنشأه" . ومع هذا فقد أنشأه في هذا الوقت بالذات أن معرفة تاريخ وماضي الشعب اليهودي تعتبر ضرورية لتكوين "اليهودي الجديد" ، والذي سعت الهكسالا إلى بعثه . والكتاب المعاصر الوحيد الذي يستحق الذكر هو "تاريخ اليهودية" (في خمسة أجزاء ، ظهرت من ١٧١٦ حتى ١٧١٩) للبروتستانت الفرنسي جاك بازناس . غير أن مشروع ترجمته إلى الألمانية لم يتحقق

### علم اليهودية

وشهدت الحياة الفكرية لليهود أوروبا الغربية ثورة حقيقية في أوائل القرن التاسع عشر . وكانت هذه هي البداية الفعلية للاهتمام بتاريخ اليهود في حد ذاته . ومن الرواد في هذا الميدان إسحق ماركوس جوست بمؤلفه "تاريخ اليهود" الذي كتبه "للساطرة بين المعبد والثقافة العلمية" أو بمعنى آخر للترقيين بين التقاليد اليهودية والتاريخ العالمي . ولكن هذه المحاولة المقيدة تبدو متناقضة أمام أهمية حركة "علم اليهودية" الذي أنشأته جماعة من المشتغلين اليهود الشبان في جامعة برلين . فقد نادوا في

ليرنيل كوفان  
Kochan

مؤرخ بريطاني متخصص في التاريخ اليهودي والأدبي كان قبل النشأة بعلم التاريخ اليهودي في جامعة وارنك (المملكة المتحدة) . واشتغل قبل ذلك بتدريس التاريخ الأدبي في جامعتي أدنبرة وأبست أجليا . ألف كثيرا من الكتب والمقالات عن التاريخ اليهودي والأدبي

ببانتهم الذي أصدره عام ١٨٢٢ ، بضرورة أنشأه نهج "علمي" حبال اليهودية يرمي إلى "توضيح موضوع الدراسة وإعادة عرضه بشكل منظم ومن جميع جوانبه ، ولذا أنه دون غرض آخر . . . . وتحليل اليهودية مع مراعاة جوهرها ودون التسك بأي أفكار مسبقة ، ودون الاكتراث بالشائع النهائية" .

وأقرب عمل إلى هذا النثل الأعلى هو بلا شك العمل الذي قام به ليوبولد زونز (١٧٩٤ - ١٨٨٦) . فهذا العالم الذي تخرج من جامعتي برلين وهاله يرى أن الماضي اليهودي لا ينفصل عن الأنواع الأدبية الأخرى حيث تعبر روح اليهودية عن نفسها أحسن تعبير . ومن ثم أخذ على عاتقه مهمة كتابة تاريخ تلك الأنواع - المواظ والأشعار الدينية ونصوص الطقوس - إلى جانب النهوض بدراسات هامة في مجال التراجم ولا سيما ترجمته لأزارياء دي روسي ولم يخلف زونز أي تلاميذ له . ولكن أعماله ساهمت بشكل كبير في أزدهار البحث التاريخي حول اليهودية حتى يومنا هذا . ورغم احتدام الجدل بين مختلف الباحثين ، فقد توطدت إلى حد كبير الموضوعية التي نادى بها علم اليهودية ، ولكنها أثارت كثيرا من مشاعر الرفض . فقد عاب صمويل دافيد لوزاتو على الباحثين العلميين المولعين بالموضوعية تخليهم عن يهوديتهم بدراسة ماضي إسرائيل كما لو كانوا يدرسون تاريخ آشور أو مصر أو بابل أو فارس . وليس في التخلي عن المفهوم اليهودي الذي يقضي بضرورة التوافق بين الأفكار والأعمال خذلان منسني للدين ؟

ثم تبسني هذه الحجة نخسان كروشال (١٧٨٥ - ١٨٤٠) الذي رأى أن النزعة التاريخية هي أكثر تعدي بواجه اليهودية . فكيف يتسنى التوفيق بين صفة الخلود والأبدية لكلام الله ، وبين الحقيقة القائلة بأن الإنسان هو الذي تلى إلينا هذا الكلام كما جاء في التاريخ ؟ ولكنا إذا ما أنكرنا هذه الحقيقة كما يقول كروشال ، أدلنا نخشى أن نطهر للأجيال الشابة السة البائدة للذكر اليهودي ، ومن ثم صرفة عن اليهودية ؟

ومن الممكن أن يقال ويصرف النظر عن هذه المنازعات أن فن التاريخ اليهودي قد أسهم إلى حد كبير في تحديد

روح اليهود بخصوصيتهم وتأكيدا .

وقد تلا هذا المنعطف التاريخي الخامس ، ظهور ثلاثة مؤلفات تاريخية ذات أهمية كبيرة ، وهي مؤلفات كل من : حراتز في ألمانيا (١٨١٧ - ١٨٩١) ، ودوينو في روسيا (١٨٦٠ - ١٩٤٩) ، ودو سالوبارون في الولايات المتحدة (١٨٩٥ - ١٩٨٩) . وقد طمح كل منهم وعلى طريقته إلى كتابة تاريخ "عالمي" للشعب اليهودي ، وإن اختلفت أساليبهم في الكتابة .

لقد رأى حراتز ، خريج جامعتي برسلو وينا ، أن أبعاد اليهودية وهي أبعاد روحية وسياسية في آن واحد ، ومن ثم فهو يبين لنا أن التاريخ اليهودي يشمل على



مراحل أولى سياسية في جوهرها ، وتنتهي بتدمير معبد أورشليم في ٨٨٧ قبل الميلاد ، ومرحلة ثانية أميل إلى الدين تقضي إلى تدمير المعبد الثاني في سنة ٧٠ . أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الشتات التي تصادف وقوعها مع ظهور أدراك متزايد بالذات ، والتي استمرت حتى إقامة دولة دني . والواقع أن "تاريخ اليهود" الذي كتبه حراتز بين ١٨٥٣ - ١٨٧٦ لا يفتي بطموحاته تماما ، ولكنه يظل ضروريا لفهم هذه الفترة .

أما دوينو فقد رأى أن مفهوم زونز وحاتز بأنه مفهوم روح ، وانتهج لنفسه في كتابه الضخم "التاريخ العالمي للشعب اليهودي" (في عشرة أجزاء ، ظهرت أولا بالألمانية ١٩٢٥ - ١٩٢٩) ، وجهة نظر اجتماعية مع التركيز على أشكال استقلال اليهود في مختلف مراكز الشتات . وبذلك أوضح لنا كيف أنتقلت الدينامية اليهودية على مر العصور ، من فلسطين إلى بابل ، ومن أسبانيا وفرنسا إلى ألمانيا وبولندا ولتوانيا . ويرى دوينو أن جميع أشكال التنظيم "شبه الحكومية" هذه قد أتاحت لليهود الاحتفاظ بهويتهم العرقية دون التخلي عن ميولهم نحو مطالبهم الإقليمية .

أما العمل الرئيسي الذي قام به بارون ، وهو "التاريخ الاجتماعي والديني لليهود" (ثلاثة أجزاء ، ١٩٣٧ وطبعة ثانية في ١٨ جزءا ١٩٥٢ - ١٩٨٣) ، فإنه لم يقدم الرؤية الشاملة للتاريخ التي كان حراتز ودوينو يطمحان إلى تحقيقها في مؤلفيهما . إلا أنه زود كتابه بالعديد من الوثائق وأفاد بطبيعة الحال من التقدم الذي أحرزه مؤرخا علم التاريخ وهو يرفض رفضا باتا وقاطعا المفهوم "المتباكي" لتاريخ اليهود ، الذي يركز على محور الانطهاد والألام لتمجيد الواقع القومي اليهودي . سواء لدى يهود الشتات أو داخل دولة إسرائيل . وقد أسعفه في ذلك ما تعطل به من مميزات في مجال التحليل ، وما أظهره من اهتمام موسوعي بالوثائق .

والى جانب هذه الأسفار الرئيسية ، ما فتئت الدراسات التاريخية اليهودية تزداد ثراء . بفضل المؤلفات المتخصصة التي كتب معظمها باللغة العبرية مؤرخون جامعيون إسرائيليون وغيرهم من المؤرخين بلغات مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا .



تذكر الصور في هذه الصفحة بالمرحلة الرئيسية في التاريخ اليهودي كما يراها العالم الأديس هيرش حراتز أدباء قصة دانيال ونسوط نصر كما صورت على مسرحية جدارية من القرن السادس عشر

أدباء إلى القرن ، فراح لأورشليم كما كانت قبل هدم المعبد الثاني إلى البينين ، شارع طريق الرهد في الحى اليهودي بقرطبة (أسبانيا)



## المسيحية بين المطلق والنسبي

علاقة الإيمان المسيحي بالتاريخ هي الشككة الأساسية في كل النواحي اللاهوتية الحديثة. وذلك أنه لم توجد منذ عصر التنوير نظرية لاهوتية إلا وقد حاولت أن توفق بين ادعاء المسحة في العصور القديمة أنها الحقيقة وبين المعارف الحديثة فيما يتعلق بالنسبة التاريخية التي تنصف بها كل الحبرات والأفكار البشرية.

وقد تزايد الوعي بصعوبة هذا التوفيق. ففي القرن الثامن عشر أشار لسنج - أحد أعلام التنوير الألماني - إلى الفجوة الصخنة المزعمة التي تفصل الإنسان المعاصر عن المسحة في صورتها الذاتية. ثم زادت الفجوة اتساعاً في القرن التالي. فقد أدرك الفلاسفة وعلماء اللاهوت والفرديون صفتاً أنه ما من حقيقة تاريخية إلا وهي حزبية ونسبة. وأنه ليس في التاريخ من معايير مطلقة تصلح لكل الناس في كل العصور. ولكن الدين المسيحي يقرر أن يسوع المسيح يحتل مكاناً مطلقاً في التاريخ. وهو يدعي أنه حق بصورة مطلقة وملزم لكل الناس أيما ما كان مكانهم أو زمانهم. وهكذا فكرنا في جوهر الحقيقة المسحة من ناحية وفي الطبيعة الجزئية للمواقع التاريخية من ناحية أخرى. زادت المسافة فيما بين الدين والتاريخ. وعبادة الله هي محور الديانة المسيحية شأنها في ذلك شأن أي ديانة

أخرى. ومن الملاحظ أن الله بوصف أيضاً بأنه "مطلق" في اللغة التقليدية للفلسفة واللاهوت الغربيين. وهي اللغة التي تأثرت تأثراً شديداً بمفهوم الواقع كما وجد في العصور اليونانية القديمة وفي فيزيقا أرسطو بصفة خاصة. ومن ثم كان تصور الله كقوة خالقة غير محدودة وغير مشروطة أبدية خلقت الكون ثم خلقت الإنسان وجعلته من مرتبة أعلى. وكان تصور الله كصاحب سيادة بغير حد وككائن ي فوق مخلوقاته على نحو لا متناه. وبغيت على ذلك أن التعارض بين الله والعالم. بين التعالي وبين الأبدية والزمن تعارض أساسي في الميتافيزيقا الغربية. فالمطلق بوصف بأنه كذلك لأنه يباين ويفارق المتناهي والعالم والإنسان ويغترض في مقابل ذلك أن هذا العالم المخلوق أو العالم التاريخي الذي يتكون مما هو متناه ونسبي يظل دائماً معتمداً على المطلق ويدين بحقيقته لله وحده.

وقد فهم المتصوفة المسيحيون بصفة خاصة الصلاة بوصفها وسيلة لاندماج الإنسان في الأبدية. ولانعزاله عن محرى التاريخ بحيث يدرك غايته الحقيقية أو غايته الأبدية. وبهذا المعنى كانت تقوى المسيحي تطوى دائماً على التقليل من شأن التاريخ ومن شأن عالم الأشياء النسبية.

### مفهوم التاريخ في الكنيسة الأولى

وعلى هذا الأساس بنى فقهاء الكنيسة القديمة نظرياتهم عن التاريخ والبشرية والكنيسة. فقد جمعوا في توليفة واحدة مختلف التصورات التي وحدوها عن سيادة الله على لتاريخ العالمي في التراث اليهودي "العهد القديم الخاص لمسيحيين" وفي الأناجيل ورسائل الرسل في العهد الجديد.

وهكذا تصور بولس الرسول التاريخ وفقاً لتفسيره هو أن يرتبط فيه خلق العالم على نحو وثيق بخلاص البشر. وجعل لبسوع المسيح مكاناً أساسياً في هذا التصور. فهو المركز المطلق لتاريخ العالم. أي المركز الذي يضمن وحده المعنى على كل أعمال البشر. وبناء على ذلك رأى القديس بولس أن تاريخ العالم قد بدأ بفعل الخلق. ولكن الخطيئة الأصلية أخلت بالنظام الإلهي لرفع العالم في الفوضى. يشهد على ذلك الكوارث الكبرى التي حلت ببني إسرائيل كما يروى العهد القديم. فلما جاء يسوع المسيح أشرق على العالم عهد جديد من الخلاص. وقد وصف بولس الرسول هذا الخلاص بصورة تاريخية محددة فهو يعني زوال النزاعات الطبيعية بين الرجل والمرأة ونهاية العدا بين الشعوب. وتحرير العبيد من رقة الرق الاجتماعي التي تشدهم إلى سلاطهم. ونهضة البشر جميعاً وقد أصبحوا أحراراً بحق.

ومن الممكن إذن أن نصف تفسير بولس للتاريخ فنقول





صورة نقشة للمسيح كما  
نرى على حرم من سقف سرداب  
كومبرديلا للمسيحي في روما  
(منتصف القرن الرابع)  
أدناه إلى اليسار لوحة  
"الحمة والحكيم" من صنع مدرسة  
بولونيا، القرن الخامس عشر

الأشكال الناجم عن التفكير التاريخي النقدي الجديد  
ففسروا المسيحية على أنها "الدين المطلق"، وأدرجت  
المسيحية من ثم في إطار تاريخ عالمي دون تضحية  
بدعواها التقليدية أنها قتل الحقيقة. فالمسيحية من جهة  
ليست إلا ديناً بين الأديان يتبنى فهمه بوصفه شكلاً  
خاصاً ومحدداً من ظاهرة عالمية هي ظاهرة الدين، وهي من  
ناحية أخرى تنفرد بأنها الدين الذي تحققت فيه بالكامل  
الغاية القصوى لكل دين ألا وهي الوفاق بين الله والإنسان



فردريكس للعلم حراك

المانى

١٩٢٤

عالم لاهوت وأستاذ  
اللاهوت المسيحي والتاريخ  
المعاصر لعلم اللاهوت بجامعة  
أوسبورج (ألمانيا الاتحادية)  
ومن بين مجالات اهتمامه  
البروتستانتية والديانة في  
ألمانيا وأسس الطرية والأحلاق  
الدينية. ألف كتباً من  
المقالات والكتب عن اللاهوت  
وعن فلسفة الأديان

البروتستانت في القرنين السادس عشر والسابع عشر يقوم  
على محاولة لإسباغ الشرعية على البروتستانتية وتعزيز  
حلقها ضد استبداد كنيسة روما. وحلت محل تاريخ  
الانتصار كما كتبه يوسيبوس صورة أخرى للكنيسة وهي  
تنفك من الداخل، فكلما عظمت قوتها زاد بعدها عن  
الإيمان الحقيقي. وقلب رأساً على عقب ذلك الفارق الذي  
أقامه يوسيبوس بين أولى السلطة والهرطقة، وبين  
المسيحين الأخيار وأعداء الله. وصارت السلطات الكنسية  
هي التي توضع في كثير من الأحيان في وضع أعداء  
المسيح. وأصبح تاريخ الكنيسة يتضمن مكاناً مركزياً لأهل  
التقوى الذين نشروا الحقائق الأساسية للمسيحية.

وأصبح تاريخ الكنيسة نتيجة لحركة الإصلاح جهداً  
علمياً ونقدياً معارضا للتراث الموروث عنها. ولم يقتصر  
المؤرخون على نقد نزوعها إلى الهيمنة وإنما أعربوا أيضاً  
عن شكهم المتزايد فيما يتعلق بالمصادر التي استندت إليها  
الكنيسة في أفعالها المشروعة على قوتها وتبرير غلبة  
السلطة البابوية على سلطة الإمبراطور. وكان هذا النقد  
يرتكز على أساس أيديولوجي، فالهدف هو فيما قيل  
تحرير المسيحي العادي من حالة العبودية الزائفة بإزاء  
الكنيسة. وبفضل هذا النقد والتفسير المتعمق للكتاب  
المقدس مهد التاريخ البروتستانتي الطريق للبحوث  
التاريخية والنقدية التي تميز بها العصر الحديث والتي  
ترسخت في عصر التنوير ثم في القرن التاسع عشر.

### الطابع المطلق للمسيحية وتاريخ الأديان

وكان عصر التنوير إيذاناً بحدوث تحول ضخم في  
تفسير المسيحية وتاريخها. ففي فترة التوسع الأوروبي وما  
ترتب عليه من إقبال على البلدان والثقافات الأخرى أخذ  
المثقفون الأوروبيون يكتشفون أدياناً عديدة وتراثات دينية  
شئى كانوا يجهلون بها. وكان عليهم أن يعترفوا بأن  
المسيحية من وجهة النظر التاريخية ليست إلا ديناً بين  
أديان أخرى، وقد ظلوا في بداية الأمر يدعون دون نقد أو  
تحجيص أن المسيحية هي وحدها الدين الحق، وأن سائر  
الأديان ليست إلا أشكالاً زائفة من الوعي الديني أو أنها  
على أفضل تقدير أشكالاً جزئية بالنسبة للحقيقة المسيحية  
ولكن المثقفين الأوروبيين كانوا كلما زاد اهتمامهم بتاريخ  
الأديان غير المسيحية ازدادوا وعياً بأوجه الشبه العديدة  
وبالتأثيرات المتبادلة بين المسيحية وغيرها من الأديان  
وكان عليهم عندئذ تفسير تاريخ المسيحية مع ربطه  
بالتاريخ العالمي للأديان.

فما هي النتائج التي تترتب على هذا الوضع بالنسبة  
لأعداء الكنيسة القدماء أم الحقيقة في حوزتها؟ أوليس  
يتنبى للمؤرخ الحديث أن يدحض الفكرة التي مؤداها أن  
الرسالة المسيحية صالحة لكل البشر؟

وتشبه نزاع حول هذه المسألة وخاصة في نطاق  
البروتستانتية الألمانية في القرن الثامن عشر. فقد حاول  
فلاسفة وعلماء لاهوت ينتمون إلى ما يسمى "المثالية  
الألمانية" - مثل شلير ماخر وشلنجر وهيجل - أن يواجهوا

وبأن الحقيقة الإلهية ستنتصر في جميع هذه المارك التي  
تخاض ضد الأعداء الخارجيين وضد الهرطقة بصفة خاصة  
وتاريخ الكنيسة في نظر يوسيبوس هو تاريخ قوة  
لافتناً تتعاظم بعزوها إلى ازدياد القرب من مملكة الله  
وهي تصبح بناء على ذلك محور التاريخ العالمي.

### الإصلاح وظهور التاريخ النقدي للكنيسة

غير أن زعماء الإصلاح في القرن السادس عشر  
وخاصة مارتين لوتر وجون كالفن وضعوا موضع الشك  
العميق تلك الرؤية الكاثوليكية التي تبدو فيها الكنيسة  
مؤسسة منتصرة متزايدة القوة. فقد أنشئ الإصلاح نتيجة  
لحركة من الاحتجاج على الكنيسة القائمة. ونودي في  
هذه الحركة بـ "حرية الفرد المسيحي" (لوتر) للاحتجاج على  
سلطة البابا وهمنة القسس على النفوس. وقيل أن الخلاص  
لا يأتى للبشر عن طريق الكنيسة ولكن عن طريق كلمة الله



لوحة "وعظ القديس بولس" من  
لوقا دي ترومي من مدرسة  
(إيطاليا القرن الرابع عشر)

وبها دون غيرها إذ يستطيع كل أنسان أن يطلع عليها إذا  
قرأ النصوص المقدسة. وكانت عبارة "حرية الفرد المسيحي"  
تعنى بالنسبة لزعماء الإصلاح إذن التقليل من أهمية  
الكنيسة، فهي كمؤسسة تأتي في المقام الثاني بعد الفرد  
التقوى.

وكان إخضاع الكنيسة لهذا القيد اللاهوتي يعنى في  
الوقت نفسه ارتفاع منزلة العالم وازدياد كرامته. ورئى أن  
الإيمان المسيحي لا يصبح حقيقة حية عن طريق التقوى  
بمعزل عن الناس وإنما يتحقق في أوضاع الحياة التي وضع  
الله الناس فيها. وكان الإيمان الحى يعنى في نظر أصحاب  
الإصلاح التسليم بالعالم والإقبال عليه بهمة.

كما أدخل الإصلاحيون تغييراً عميقاً على وجهة النظر  
السائدة فيما يتعلق بتاريخ الكنيسة. فقد تناولوا هذه  
المؤسسة بالنقد. وأصبح تاريخها كما كتبه المؤرخون

أنه "تاريخ للخلاص" فتاريخ البشرية بأكمله موجه نحو  
عودة المسيح أونحو تحقيق الخلاص الآتى بفضل. ويمكن أن  
يقال أيضاً أن رؤية بولس للتاريخ رؤية غائية، فالغاية  
التي يتجه نحوها تاريخ العالم هي أن يتحقق لكل إنسان  
الخلاص الذي أنجاه الله للبشرية من خلال المسيح.

ولهذا السبب كانت الكنيسة في رأى بولس توجد في  
مركز التاريخ. فهي المؤسسة التي تنقل إلى الناس نبأ  
الخلاص الذي يأتى به المسيح. ومن خلال عملها تقترب  
الغاية القصوى للتاريخ كما يريد الله وعودة المسيح وبناء  
مملكته العالمية القائمة على السلام وعلى ضوء هذه الغاية  
لا أهمية لتاريخ العالم والتاريخ السياسي للدول. فعمل  
الكنيسة وحده هو صاحب الدور الحاسم في التقدم الحقيقي  
نحو مملكة الله.

وكانت المسيحية الأولى تقوم على الإيمان واليقين بأن  
يسوع عائد عما قريب وأنه يدفع التاريخ نحو خلاصه  
النهائى. وبناء على ذلك لم يوجه لاهوتيو الكنيسة القديمة  
كثير اهتمام في البداية إلى عوارض تاريخ الكنيسة. ولم  
يصبح هذا التاريخ موضوعاً هاماً للتفكير اللاهوتي  
إلا نتيجة للاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون على يدى  
الإمبراطورية الرومانية وانتصار المسيحية عليها. كما قتل  
في صورة رمزية في تعديد قسطنطين في سنة ٣٢٧ م.

ثم جاءت أول خلاصة جامعة لتاريخ انتشار المسيحية  
على يدى المؤرخ واللاهوتي يوسيبوس القيصرى في بداية  
القرن الرابع. وكان لكتابه عن "التاريخ الكنسى" دور  
أساسى مازال يؤدبه حتى العصر الحديث. وظلت طريقة  
يوسيبوس في ربط أحداث التاريخ الكنسى ربطاً وثيقاً  
بتفسير عام للتاريخ العالمى نموذجاً يحتذى مؤرخو  
الكنيسة الكاثوليكون لقرون.

وكان تفسيره حاسماً بصفة خاصة في تقرير نقطتين  
على وجه التحديد. أولاً أن تاريخ الكنيسة يبدأ بميلاد  
يسوع الناصرى وأعماله. فلم يكن التاريخ اليهودى  
والتاريخ الذى سبق المسيحية بصفة عامة إلا تمهيداً من  
صنع الله لهذا الحادث الأساسى الذى جاء بخلاص البشرية  
ومن هذا المنطلق رأى يوسيبوس أن الأديان السابقة على  
المسيح قد مهدت لتلقى رسالته. وذلك أن المسيحية ليست  
في الواقع ديناً جديداً، ولكنها كانت هي الدين الأزلوى وإن  
لم يوح بها كاملة قبل المسيح. ولم تكن اليهودية والديانة  
اليونانية في نظر يوسيبوس "دينين أجنبيين"، وإنما  
كانتا شكلين من أشكال المسيحية التي لم تكتمل. وكذلك  
ربط يوسيبوس التاريخ الذى سبق ظهور المسيح بتاريخ  
الكنيسة.

أما النقطة الثانية التي قررها يوسيبوس فهي أن  
تاريخ العالم يقوم على نزاع متصل بين الخير والشر، أو  
بين الله والشيطان. وهذا التاريخ الذى يتسم بالصراع حافل  
إذن بمعارك دائمة بين الأخيار الذين يخلصون لله وكنيستهم  
والأشرار الذين يتبعون الشيطان ويحاربون الكنيسة. وكان  
يوسيبوس على اقتناع عميق بأن الله سينصر كنيستهم



بلم : عهد السلام شادى

انضواء جميع الأديان تحت مبدأ واحد والمنا تؤكد لمدى كل هذه الأديان .

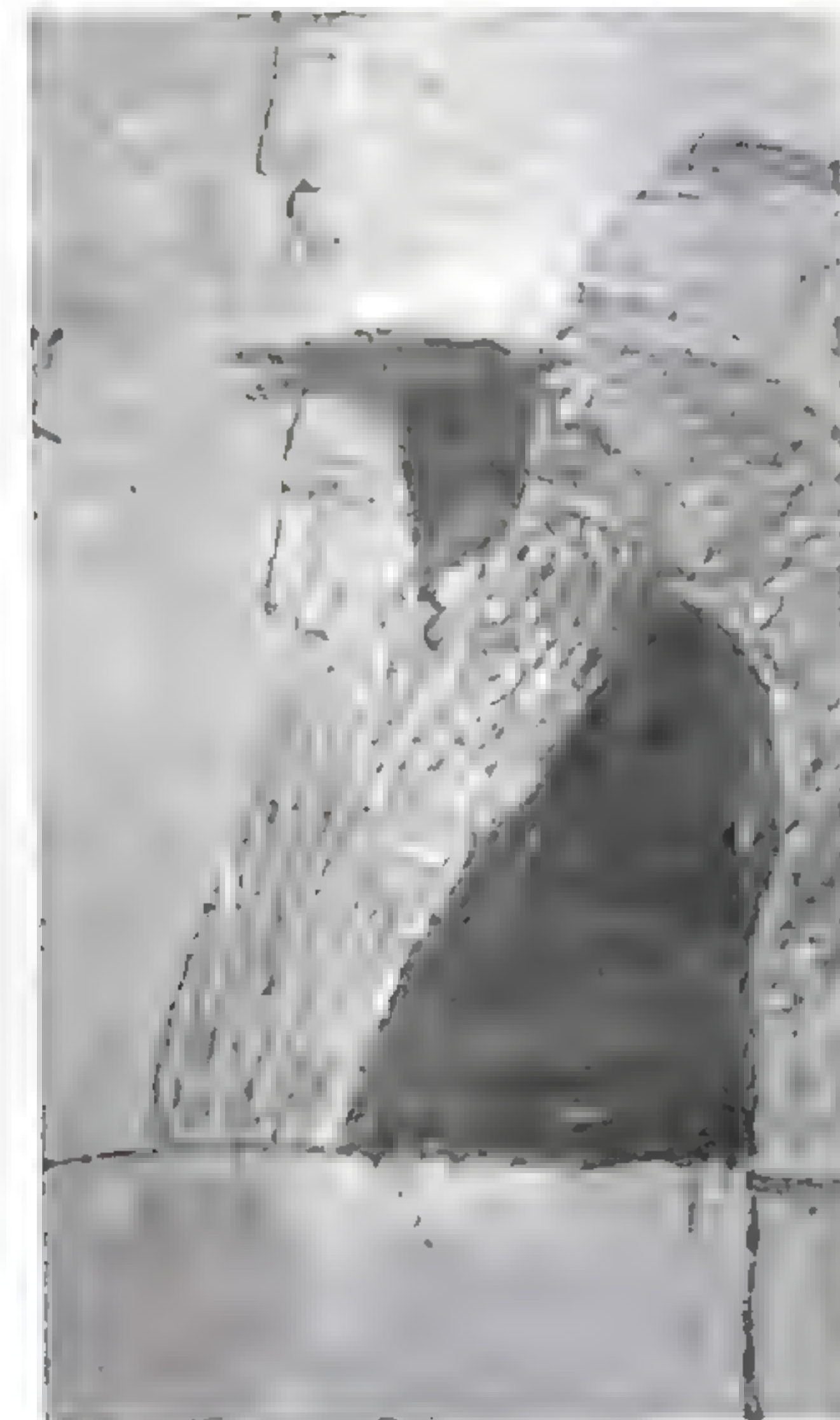
ولابد إذن لعلم التاريخ الذى يتسم بروح نقدية حقيقية أن يتخلى عن فكرة "الدين المطلق" فهى فكرة دحاطيقية أولخبر تاريخية . وقد نوقشت النتائج المترتبة على هذا بالنسبة للدين المسيحى نقاشا مستفيضاً فى أوروبا وفى الولايات المتحدة .

وقد أدى عالم اللاهوت الألمانى إرنست ترولتش - وهو بروتستانى ليبرالى - دوراً هاماً فى هذا المجال . فقد رفض فكرة "الدين المطلق" فى محاضرة شهيرة نشرت فى ١٩٠٢ بعنوان "الطابع المطلق للمسيحية وتاريخ الأديان" . ورأى أن للمسيحية "قيمة عظيمة نسبياً" مع الاعتراف بأن هذه القيمة لا يمكن إثباتها بمنهج تاريخى دقيق . وهو لم ينكر أن المسيحية تدعى أنها تمثل الحقيقة . ولكن الحقيقة الوحيدة فى نظره لا تتحلل إلا إلى أشكال دينية لا حصر لها .

وقوام هذا التفكير وضع مفهوم شامل للدين من شأنه أن يحيط بكل الأشكال الدينية التى ظهرت حتى ذلك الوقت فى تاريخ البشرية . ثم بسط هذا المفهوم وتفصيل تلك الأشكال وفقاً لمخطط تاريخى يركز على التطور . فهناك انتقال من الأديان البدائية إلى الأديان الطبيعية ومن ثم إلى الأديان الثقافات . وبذلك يبدو التاريخ كعملية تتجه نحو نهاية أخيرة هى التحليل الفعلى لمهمة الدين الشاملة .

وقد أنتشر هذا التفكير التطورى على نطاق واسع فى جميع البلدان الأوروبية فى القرن التاسع عشر . وصورت فيه المسيحية بوصفها أرقى أشكال الأديان الثقافات ، ووصفها دين الحرية والشخصية الإنسانية . واعتبرت على نحو مباشر أو غير مباشر مرادفة لمفهوم الدين الشامل . ويرجع نجاح هذا التفسير إلى أنه يسمح بإخضاع الأديان المختلفة للنظر التاريخى النقدى دون التخلي عن ادعاء التفوق للمسيحية . وبذلك أمكن استخدام هذا النموذج الفكرى فى تبرير الاستعمار الغربى . إلا أن ما حدث منذ القرن التاسع عشر من تزايد سريع فى معارفتنا بشأن تاريخ الأديان قد حطم ما افترضته المثالية من أن مسار التاريخ يتوقف على عقل متعال ثابت لا يتغير . وكلما زاد وعى المفكرين بخصوصية كل دين من الأديان اشتد إغراضهم عن محاولة فهم تاريخ الأديان كعملية تطورية واحدة ومحاولة الإحاطة بجميع هذه الأديان فى نطاق مفهوم واحد . وحلت محل الإيمان المثالى بوحدة معقولة تشمل التعدد رؤية تعددية للتاريخ لم يعد ينصب فيها التأكيد على

أدناه صورة لمارتن لوتر من صنع الفنان الألمانى لوكاس كراتانه الأب (١٤٧٣ - ١٥٣٣) . أدناه إلى اليسار : صورة لجون كالفن رسمها له أحد طلابه وهو يحاضر



الصفحة المقابلة ، رسم لدية إيرانية ورد فى مخطوطة من القرن السادس عشر لكتاب الرحلة الذى يشرح حملات السلطان العثمانى سليمان العظيم .





أول ما يلفت النظر في الكتابة التاريخية الإسلامية هو ضخامة الإنتاج فيها. وهو إنتاج لم يطبع منه حتى اليوم إلا قدر يسير، وما زالت تكتشف منه نصوص جديدة. فنهاية من النصف الثاني من القرن الأول للهجرة (أي النصف الثاني من القرن السابع الميلادي) حتى القرن الثالث عشر (القرن التاسع عشر) ظل هذا الإنتاج مستمرا دون انقطاع تقريبا متفاوت نشاطه من فترة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر وإن وجد حيفها لتقليل الإسلام. وكانت اللغة المستخدمة هي العربية في بداية الأمر، ولكن كانت هناك أيضا كتابات بالفارسية والتركية ولغة الملايو. ورغم أن معظم المؤلفين في هذا المجال كانوا من المسلمين، فقد كان هناك أيضا مؤلفون مسيحيون وخاصة في مصر والشام.

وهناك سمة هامة أخرى وهي تنوع هذا اللون من ألوان الكتابة تنوعا شديدا، من حيث الأشكال والأنواع، فهناك تواريخ عالمية أو عامة أو دراسات مونوجرافية، وأشكال تقوم على المحرلات أو الممالك أو الأنساب، وكتب الطبقات، وكتب التراجم وتواريخ محلية، وتنوع من حيث المجالات، إذ يتناول التاريخ الحياة الدينية والسياسية أو الإدارية والاجتماعية، والأنشطة العلمية والأدبية والفنية، والرحلات وخطط المدن والأثار، والكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة... ويتسع نطاق الاهتمام التاريخي ليشمل الحضارات غير الإسلامية مثل غرب أوروبا وشمالها والهند والصين والشرق الأقصى وأفريقيا.

ويشمل علم التاريخ كل المعلومات التي تتعلق بالإنسان وعلاقاته ببيئة الاجتماع والثقافة وعلاقاته باله. وهو كما أكد ابن خلدون (انظر الإطار الوارد في صفحة ٢٩) يستهدف "السوق والأفعال" كما يستهدف الممالك والأقاليم. ومثل هذا التصور للتاريخ بما فيه من شمول عالمي واتساع نطاق جمهوره يعد تمهيدا للمفاهيم التاريخية الحديثة.

### أهمية الزمن

ومن أوجه الشبه الأخرى التي تقرب التاريخ الإسلامي من المفاهيم الحديثة هو أنه أولى منذ فترة مبكرة أهمية كبيرة للتسلسل الزمني. فقد تكونت حصة ضخمة من المعارف المتعلقة بالزمن في الثقافة الإسلامية منذ القرن الأول حتى القرن الرابع للهجرة. وكان لهذه الحصة المعرفية مصادرها في التراث العربي السابق، ولكنها أثريت بإضافات فارسية وهندية ويونانية ومصرية أفادت من دراسات علماء الفلك والجغرافيين. ومن ثم كان العمل التائلي العظيم الذي اضطلع به البيروني في النصف الأول من القرن الخامس / الحادي عشر أنجازا فلما بفضل طابعه الموضوعي. وقد ضم أضخم وأدق حصة معرفية تراوحت من الزمن قبل العصر الحديث.

وقد أضاف المؤرخ المسلم فائدة كبيرة من هذه المعارف.

فنهاية من القرن الثاني / الثامن بدأ يشيع بالتدريج تحليل التواريخ واتباع الترتيب الزمني وتكوين الجداول. وأصبح لتحديد التاريخ من طريق بيان السنة والشهر واليوم قاعدة تكاد تكون مطلقة في حالة معظم الوقائع التي يرويها المؤرخ. وهو ما يختلف على نحو واضح من كتابة التاريخ في الغرب خلال العصر الرسيط حيث لم يتم استخدام نظام للتسلسل الزمني إلا بداية من القرن الحادي عشر وحيث بقي الترتيب الزمني للأحداث التاريخية الكبرى غير مستقر حتى القرن الرابع عشر.

### الأصالة والتصور

وتتمثل أصالة التاريخ الإسلامي كما يتمثل تصور في مفهومه عن المعلومات التاريخية أو الخبر. فالخبر هو الواقعة أو الحادثة عندما تصبح موضوعا للخطاب أو عندما



أعلا، صلحة مخطوطة من التراجم الشريفة والشعرية كمار المنصورة، وهي من تأليف حسين بيهقرا (١٤٦٩ - ١١٨٠) آخر ملوك المماليك في مصر. إلى البيهقرا رسم من مخطوطة تركية نصف رطل (١١٨٠ - ١١٩٠) إلى اليسار صلحة من مخطوطة عربية من القرن الثاني عشر تصف العادات في الصين والهند.

Cheddadi  
عبد السلام شداوي  
مؤرخ مغربي، معلم التاريخ بكلية العلوم الشريعة في الرباط بعد حجة في دراسة ابن خلدون. وقد ترجم إلى الفرنسية السيرة الذاتية للمؤرخ العربي الكبير ومفكراته من تاريخه (أرستيداد باريس ١٩٨٧).

تقص في "رواية". والمؤرخ لا يعنى بالوقائع في حد ذاتها، وإنما يتخذ نقطة انطلاقه من معطى أساسي هو الرواية كما وردت في الأقوال المكتوبة الشفهية التي ينقلها شاهد حي (يمكن أن يكون هو المؤرخ نفسه). ومهمته الأولى إذن هي توثيق وتحقيق الروايات بنقد الشهود وسلسلة الإسناد. وليس من هدف المؤرخ أن يبحث عن الوقائع أو أن يتحقق منها، ولكنه يسعى إلى تلقي المعلومات وتصنيفها وتنظيمها مع التأكد من صحتها. وقد بقي صدق الروايات في حد ذاتها موضوعا ثانويا حتى جاء ابن خلدون فاشتراط معرفة قوانين العمران (أو الاجتماع البشري) أساسا للنقد التاريخي.

ولما كان المؤرخ ملزما بأن يقبل الروايات كما ترد في التراث بكل تفاصيلها فيوسعه أن يرتبها أصنافا شتى وأن ينظمها كما يشاء في مصنفات تتفاوت ضخامة وصغرا، ولكنه لا يستطيع أن يصوغها كما يشاء. وأن يعيد تأليفها أو تشكيلها وفقا لرؤيته للأمور.

وليس في التاريخ الإسلامي إذن إعادة تأليف للماضي على نحو ما فعل اليونان أو ما حدث في التاريخ اللاهوتي كما كتب في العصور الوسطى المسيحية. ومن ثم كان عدم التحيز الذي يتصف به التاريخ الإسلامي والذي يقر به

الكثيرون. ومن ثم كان أيضا تصوره الشباني للزمن فالزمن وفقا لهذا المفهوم لا يتضمن أي دافع على التطور أو التقدم ويقتصر دوره على ترتيب تتابع الأحداث من الخارج. وكان ابن خلدون هو الذي أضفى على هذا المفهوم بعدا جديدا عندما درس التجمعات البشرية الضخمة مثل العرب والبربر والفرس والروم (أي اليونان والرومان والبيزنطيين) من حيث تطورها ونشأتها واضمحلالها.

### الفترات الكبرى الثلاث

تروحت الفترة الأولى التي امتدت حتى القرن الثالث للهجرة بتاريخ الطبري (انظر الإطار الوارد في صفحة ٣٨) الذي عنوانه "كتاب الرسل والملوك". ولم يمض وقت طويل في غضون تلك الفترة إلا وقد أخذ بالتقويم الهجري على نطاق واسع. كما بدأ تطبيق منهج الإسناد الذي وضع أصلا لدراسة العلوم الدينية في كتابة السيرة النبوية ورواية الغزوات الإسلامية ثم طبق شيئا فشيئا في جميع أنواع الرواية.

وظهرت الروايات التاريخية الأولى وتبلورت أحيانا على شكل أنواع مثل المغازي والسيرة والفتوح والأحداث وأخبار الأوائل وأيام العرب والأنساب والمآثر والمثالب وسير العلماء وقوائم المعلمين وسجلات الأخبار السياسية والإدارية وتواريخ الدولتين الأموية والعباسية ومجموعات رسائل الكتاب. وترسخت شيئا فشيئا عادة تحديد الوقائع والأحداث بدقة واتباع التسلسل الزمني.

وظهرت مؤلفات عديدة مثل "المغازي" للواقدي "السيرة لابن إسحق" و"الطبقات" لابن سعد و"أخبار الأوائل" للدينوري و"أنساب الأشراف" للبيلاذري و"التاريخ"

كتاب في سلك التاريخ والبلاد  
والعبر وأنواع الحكايات وفي علم الكون  
والمناجيب والديك وحيات البلدان والعمود  
فيها والأرض والديك وغير ذلك من  
كتاب في سلك التاريخ والبلاد  
والعبر وأنواع الحكايات وفي علم الكون  
والمناجيب والديك وحيات البلدان والعمود  
فيها والأرض والديك وغير ذلك من



لم يكن الطبري (٨٣٩-٩٢٣) هو الذي اخترع في التاريخ في الإسلام. ولكنه أظهر عليه، فقد بقي تاريخه أي كتاب الرسل والمؤرخين. مثلاً يحملي طرفة عين ككتاب للتحريات يرى سنة لسنة تاريخ العالم الإسلامي خلال القرنين الثلاثة الأولى للهجرة، وقد وصل الرواية من ج. بعد الطبري من المؤلفين كما أهدت صياغة وسيله للعصر المعاصر في تصريف الطبري تاريخه بصفحة وصفية كما دعا له الكمال في مؤلفاته أخرى مثل كتاب "الكامل" لابن الأثير في القرن الثالث عشر وكتاب "البيان والبيان" لابن كثير في القرن الخامس.

وقد بدأ الطبري حياته العلمية بترجمة ما يؤمنه ليكون لها مصداق وموضوعاً. وفي طيلة ثلاثين عاماً يعمل بين مدن الشرق الأوسط ويطلب العلم على أكبر الأساطير في عصره. ولم يقتصر اهتمامه على التاريخ والطب والتفسير والحديث، وإنما شمل أيضاً الفقه والأخلاق والروايات والطب. وقد اشتهر أيضاً بتفسيره العظيم للقرآن.

وكان "تاريخ" الطبري مصححاً لمسألة من النظر بدأت في القرن الأول للهجرة. وهو يربط إلى تنظيم كل ما انتهى إليه من المعلومات وفقاً لسلسلة زمنية مع إضحاك هذه السلسلة للحد من الفوضى. وقد صاغ الطبري مادته التاريخية وفقاً لتقريب زمني صارم. وأسس مبدأ من الاستقصاء والتفصيل على التاريخ العالمي الذي بدأه البيهقي في الأواخر الطول والطبري في كتابه "التاريخ".

وقد أراد الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوكة" أن يكون تاريخاً للعالم منذ بدأ الخلق حتى عصر المؤلف. والكتاب كما شرح الطبري في المقدمة يعني بصفة خاصة بملكات الخلافة بالحق سراً. فأقامت على الطاعة والإيمان لرؤس العاصم والمختار. وبعد أن تناول الكتاب إلهام ولوم وبسبب، ينصب الاهتمام على الأشياء والملوك.

ومرارة الكتاب مكاناً للتاريخ الإلهي ولكنه لا يتعرض للتاريخ اليوناني - الروماني والبيزنطي والتاريخ الفارسي.

ولما على أي حال أخيراً فريدة للمعلومات. فالطبري كما يقتضي منهجه لا يروي أي واقعة إلا مصحوبة بصداها وسدعة في كثير من الحالات بالروايات التي ذكرتها. وهو يتبع لها من ثم سواء ذهبت لولا، لكائنات اليوم مخلوقة. وفي هذا الصدد كتب المؤرخ فرانز روزنتال يقول إن الطبري قد جمع في تاريخه بين "تخليق عالم الكلام وقدمه التي لا تكل وبين دقة الفقه وحبه للنظام ولغة السياسيين العليم بالقانون".

عبد السلام شادي



أعلاه صفحة من مخطوطة من القرن ترجع إلى سنة ١٧٣٣ لـ "مقدمة ابن خلدون" إلى البيهقي رسم من الصورة الثانية لهابور (١٤٨٣ - ١٥٣٠) مؤسس الإمبراطورية المغولية في شمال الهند.

## ابن خلدون

لا شك أن ابن خلدون من أكبر المؤرخين والمفكرين في العالم. وقد أتبع لنا أن تعرف تفاصيل حياته بفضل السيرة الذاتية المطولة التي كتبها. ولد ابن خلدون في سنة ١٣٣٢ في تونس لأسرة من كبار موظفي الدولة والعلماء الذين يرجع أصلهم إلى الأندلس وينحدرون عن سلالة بني هرة. وتلقى ابن خلدون تعليمها وأنها في المجالات الدينية والأدبية والفلسفية. وكان لسانه أشهر العلماء في المغرب. وكان في شبابه عندما غزا الرقبة الملك المريني أبو الحسن الذي دخل تونس في سنة ١٣٤٨. وفي السنة التالية أودى الطاعون بوالديه. وبداية من ١٣٥٢ أمضى حوالي عشرة أعوام في فاس حيث كان يشغل منصب كاتب السر لدى السلطان أبو سليم. ولكنه لم يستطع أن يحيا حياة مستقرة أو أن يحقق مثله العليا السياسية لأنه هذه المدينة ولا في غرناطة التي زارها في ١٣٦٧ ولا في بجاية أو لمسان اللذين انتقل إليهما فيما بعد. غير أنه حصل معرفة مفصلة بحياة البلاط وحمل الدولة وأنهج له أن يطلع على حياة اللبائل العربية والبربرية.

وفي عام ١٣٧٥ فرار ابن خلدون وكان يبلغ من العمر خمسة ٤٣ سنة أن يحتفل الحياة العامة في ينطرح للعلم. وأقام في اللغة ابن سلامة بالقرب من فرابا بالمغرب حيث كتب النص الأول من المقدمة. وأسطرت الحاجة إلى مزيد من الوثائق التي التخلي عن معرفته. فعاد إلى تونس حيث اشتغل بالتعليم وأتم النص الأول من تاريخه العالمي الضخم أو "كتاب المعبر". ولكنه لما كان يخشى إلى مكانه خسرمة وحل من المغرب بصفة نهائية في سنة ١٣٨٤ واستقر في مصر. وأنهج له في القاهرة أن يتصل بالحاكم المملوكي الحاكم بوقرق، واشتغل هناك بالتعليم والقضاء مع حراسة العمل في كتابة مؤلفه الكبير. وشهد ابن خلدون قبل وفاته خمسين سنوات حصار دمشق والنفي عندئذ بقاتله المعرول بمرور ذلك وترك له عنه صورة أخادة.

وكان ابن خلدون يهدف أول ما يهدف إلى أن يكون مؤرخاً. فلقد أراه أن يؤلف عن عصره خلاصة جامعة يمكن أن تكون نموذجاً يحتذى به المؤرخون في المستقبل. ولم يكن راضياً عن الأساليب التقليدية في توثيق الوثائق وتحليلها. فوضع نظرية عن المجتمع لتكون شرطاً أساسياً لكل كتابة تاريخية. وعكفا أسس في "المقدمة" مانسبة اليوم أنثروبولوجيا. وستقتصر فيما يلي على تقديم نبذة موجزة لبعض المصطلحات التي تروى في مجرورة مفاهيمه المروعة المبهمة.

الفكرة الأساسية في نظرية المجتمع كما وضعها ابن خلدون هي فكرة "العصران" وهي كلمة لا نجد لها مرادفاً بفسرها، وقد يمكن إذن أن يقال إن العصران هو الحضارة شريطة أن نستقط الفارق الذي تروى به هذه الكلمة.

والواقع أن هذه المفاهيم تدرج في شبكة واسعة الطاق من الأفكار في المجال الاجتماعي هناك "العصبية" و"النسب" و"الولاة" و"القطاع" و"الحرارة" و"التهجر" و"الطلب" أو "التفتيح" و"الجماد" وفي المجال الاقتصادي هناك "المعاش" و"الكسب" و"اللبية" و"الأعمال".

ومن المؤكد أن المفاهيم التي استخدمها ابن خلدون والقوانين التي استخلصها فيما يتعلق بعمل المجتمع العربي البيهقي والعروض الجامعة التي أتم فيها يكتمل من جراب التاريخ الإسلامي ما زالت ضرورية لأي بحث أنثروبولوجي أو تاريخي عن المجتمع الإسلامي. ولا يحظرنا لأحد أ هذا البناء النظري الصارم المنسق قد تجاوز الزمن، فهو مازال مصدر إلهام بالأحرف العلمية للباحثين المعاصرين.

عبد السلام شادي

القواميس التي تعرف بالأعلام في مجال الحياة الدينية والفكرية. ومن ذلك كتب التعريف بالشعراء والعلماء في مجالات شتى والمجموعات التي تعرف بالفقه من مختلف المذاهب وقها رس الكتاب وسير الأولياء. وترسخ التراث التاريخي في مختلف مناطق الدولة الإسلامية وأزدهر.

وفي منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) جاءت الفترة الثالثة التي شهدت تصدع التقاليد التاريخية نتيجة للتحولات السياسية التي تعرض لها العالم الإسلامي حيثئذ. وضاق نطاق الإنتاج التاريخي حتى

منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ثم أخذت منطقة الشام تحتل مكانة هامة لفترة فظهر فيها مؤرخون مثل ابن الطي. وابن أبي الدم وابن التظيف الذين ألفوا تواريخ عالية كبرى. والذين تابعهم بعد ذلك بقليل ابن الأثير مؤلف كتاب "الكامل". ثم جاء دور مصر فأنتجت مؤرخين كباراً مثل ابن حجر والمقريزي والعيني وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي. وظهر في المغرب في نفس الفترة ابن خلدون الذي أثار مجده إعجاب معاصريه ولكنه لم يجد من يرأس مسيرته.

الترعة وإن كان أقل نفرة عن كتاب الطبري. وبداية من القرن الرابع الهجري أخذ التاريخ طابعاً رسمياً إلى حد ما وزاد اعتماده على محفوظات الدولة أو محفوظات الأتالييم. وكانت من ثم مؤلفات سلسلة من المؤرخين بدأت بحسن بن ثابت بن سنان الصابي ثم بمسكويه إذ ألف "تجارب الأمم" (تاريخ دولة بني بويه) والذي تابعه أبو شجاع في القرن التالي. وتطور تاريخ المدن بحيث أصبح نوعاً رئيسياً صدر في أطواره إنتاج وغير أشهر أمثلته "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي. وتحسنت وتكاثرت

للمعقوى. وبذلك تألف أدب تاريخي ضخم لم يصلنا منه إلا القليل نسبياً وإن كنا نجد عليه شواهد دقيقة في قائمة عناوين المؤلفين الواردة في البليوغرافيات التي وضعت فيما بعد مثل كتاب "الفهرست" لابن النديم الذي أنجز في سنة ٣٧٧ هجرية (٩٨٨ ميلادية).

وقبزت الفترة الثانية أو الكلاسيكية كما تسمى باشتداد هذه الاتجاهات المختلفة وإن قل الاعتماد شيئاً ما على منهج الإسناد. ويظهر أنواع جديدة. فبعد الطبري ألف المسعودي "مروج الذهب" وهو بدوره تاريخ عالمي



# التاريخ الأفريقي بين الرواية الشفهية والكتابة

بقلم : بوجوميل جومدوكي

و . ل . ي . موديسي



أصل "جريس" إلى شاعر وموسيقار دولوفا من شعب الشوق في الكوت وبلوار .  
الصلحة القابلة ، مجسدة من الصبية في زيارة لشعف جوس في نيجيريا .

ظل تاريخ أفريقيا السوداء إلى عهد قريب لا يوجد في نظر العالم الخارجي إلا على شكل كتابات ألها الغزاة الأوروبيون . أما اليوم فقد أصبح هذا التاريخ مبحثاً قائماً بذاته . ولم يعد أحد يجرؤ اليوم على أن يدعي - كما كان من عادة الباحثين أن يدعوا في منتصف هذا القرن - أن أفريقيا وإن كان لها ماضٍ ليس لها تاريخ لأنها تفقر إلى الشواهد المكتوبة . وكان هؤلاء الباحثون يعتقدون أن المجتمعات الأفريقية لا تتقن فهم الزمان - وهو نوع من القصور "التقني" حري بأن يزيد من عزلة هذه القارة التي رأى هيجل أنها ليست جزءاً تاريخياً من العالم .

وقد كان لاستبعاد أفريقيا من التاريخ اليهودية المسيحية التي نصت من نفسها معياراً عالمياً للعقل تماماً كما فعلت أديان التوحيد تأثير عميق في التحسينات والسينات على تفكير المثقفين الأفارقة الذين تلقوا تعليماً غربياً والذين كانوا يناضلون بأسم الكرامة الأفريقية من أجل الحصول على حق حرموه صراحة ، ألا وهو الحق في العالمية ومن ثم الاعتراف بالإسهام الأفريقي في تاريخ الإنسانية . وقد أقترن تزايد الوعي عندئذ بإدراك هؤلاء المثقفين أن للقارة تاريخاً يستوجب النظر في وقائع الماضي الأفريقي وإعادة تنظيمها .

واسترشد المثقفون الأفريقيون إلى حد بعيد بالسود الذين يعيشون خارج القارة والذين عمدوا في نضالهم من أجل الاعتراف بإنسانيتهم إلى تكريس جهودهم في البحث عن آثار قديمة تتعلق بالسود في الغرب . وكانوا يحاولون في الواقع إثبات مشروعية الإنسانية السوداء في إطار مفهوم الثقافة كما صاغه مفكرو عصر التنوير بناءً على الأفكار اليونانية الرومانية واليهودية المسيحية . وكان الغرض من هذا النضال كشف زيف فلسفة التاريخ الهيجلية

## جمع ومقارنة البيانات الشفهية والمكتوبة

وكان أن قدم المفكر السنغالي شيخ أنتا ديوب رداً هيجلياً فوضع نظرية مؤداها أن أصول الغرب ترجع إلى مصر الفرعونية التي كانت حضارة سوداء أساساً . وكان أنتا ديوب ككثير غيره من كبار المثقفين في عصره وفي هيجل على نحو لافت للنظر ومن ذلك أن رائد التاريخ الأكاديمي لأفريقيا السوداء أدى أجابى وكى - زيرب ذهباً إلى أن الاستعمار كان بمثابة "توسين في التاريخ الأفريقي" ، فكانه كان رحلة هبوط إلى قاع المجيم جديرة بالنسيان ، ورأى أن مستقبل أفريقيا يصدر أصلاً عن ماضٍ مجيد

رده شيخ أنتا ديوب إلى مصر الفرعونية بينما رده كى - زيرب وأجابى إلى فترة أقرب سبقت عصر الاستعمار . ولما صاغ إيميه سيزير وليبولد سنجور فكرة "الزنجية" (Negritude) أخذت البلاد الغربية وسائر أقطار العالم تعترف على نحو متزايد بالثقافات الأفريقية السوداء . وبدأ المؤرخون بالتسالي يسمعون إلى إثبات تاريخية المجتمعات الأفريقية .

وثارت خلاقات بين المؤرخين الأكاديميين وبين المؤرخين الذين ينظرون إلى الماضي نظرة فلسفية مثل شيخ أنتا ديوب ، ولكن الجميع كانوا يعتقدون أن الكتابة عن الماضي ينبغي أن تحول إلى فلسفة سياسية للوقت الحاضر . بينما رأى المؤرخون الأكاديميون أن هذه الفلسفة تفترض عدة دول قومية ، كان أنتا ديوب والمؤرخون المقيمون في الخارج يحملون بدولة واحدة .

وفي العقود الثلاثة فيما بين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ توطدت دعائم التاريخ الأفريقي بوصفه مبحثاً جامعياً وأوليت فيه الدولة اهتماماً خاصاً كموضوع تاريخي . ويوجد اليوم كتابان أساسيان في هذا المجال ، هما : "تاريخ أفريقيا العام" الصادر عن البيونسكو و "تاريخ كمبروج لأفريقيا" . وفي خلال جيل واحد أصبحت المعرفة الأكاديمية فيما يتعلق بأفريقيا جزءاً من تاريخ البشرية . وتبذل الآن جهود واسعة النطاق لجمع وترجمة الشواهد الشفهية الخاصة بأمم مئات المجتمعات الأفريقية ومقارنة هذه المعلومات بالبيانات الصادرة عن الثقافتين الغربية والإسلامية . وبفضل هذه الجهود الإضافية إلى تطور علم الآثار وعلم اللغويات والوسائل التقنية الجديدة وقوة الخيال والدقة اللتين يبداهما الباحثون إذ يواجهون تقلبات التراث الشفهي من حيث التسلسل الزمني ، أصبح لدينا الآن كميات ضخمة من المعلومات عن الماضي الأفريقي .

كما صدرت مؤلفات شعبية جيدة . ومنها خاصة ما كتبه بالفرنسية ي . كيك و إ . ميوكولو . وتعتمد البيونسكو إصدار نسخة مختصرة من "تاريخ أفريقيا العام" وترجمتها إلى اللغات الأفريقية . غير أن من الممكن أن يقال بصفة عامة أن نتائج البحوث الأكاديمية لم تصبح بعد جزءاً من تعليم التاريخ في أفريقيا ، وهو وضع ناتج عن أزمة النشر والتوزيع فيها .

## ضرورة التعاون الوثيق

وقد ساعد استخدام الأخبار الشفهية - وهو استخدام لا يقتصر على التاريخ لأفريقيا - على إضفاء مشروعية أكاديمية على هذا النوع من الشواهد . كما ساهم في وضع







## الاتحاد السوفيتي ونهاية "البقع البيضاء"

بقلم : فلادimir سيروتكين

كان المؤرخون في الاتحاد السوفيتي يضرعون صفحا عن فترات كاملة من التاريخ . سواء أكانت من التاريخ السوفيتي أو العالمي . فهي لم تزيّف وإنما أغفلت إغفالا تاما . فأصبحت "بقعا بيضاء" في صفحة التاريخ . ومثال ذلك أنه قد حذف من صفحة الماضي قدما . البلاشفة من أشغال بخرارين وزيروفيف وتروتسكي وغيرهم ممن أعدوا . ولذلك تشهد اليوم انقلابا حقيقيا في مجال نشر السير . والتي في سلة المهملات التصور السالبي لتأميم الزراعة والتصنيع . وترتب على ذلك أن تعين علينا أن نلقى امتحانات التاريخ بسبب نقص الكتب التعليمية الجديدة . واستبدلنا دروسنا عن تاريخ الحزب الشيوعي والشيوعية العلمية والاقتصاد السياسي للاشتراكية . بدروس عن التاريخ الاجتماعي والسياسي للمقرن العشرين .

وبجرى الآن وضع كتب تعليمية جديدة . وثمة فريق يقوم الآن بإعداد كتاب عنوانه : "دراسات حول تاريخ الحزب" . ويعكف فريق آخر على وضع تاريخ للاتحاد السوفيتي . وقد اشتركت في تأليف كتاب عن التاريخ العالمي وجاء إسهام في تاريخ فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وسويسرا وبلجيكا .

وغير الوسيط العلمي للمؤرخين بمرحلة من التطور شامل . فعلى أحد طرفيه . يوجد الأستاذ المخضرم المعارض على الصعيد الفكري على الأقل : وعلى الطرف الآخر يوجد الشباب من الباحثين وأساتذة الجامعات واليساريين . وفي الوسط . يوجد أمثالنا ممن تتراوح سنهم بين الخامسة والأربعين والخمسين . ونحن نجاهد لدفع الأمور إلى الأمام

ولناخذ على سبيل المثال الثورة الفرنسية . فمنذ خمس سنوات . كنا ندرس أساسا فترة "الإرهاب" . فالثورة بدون الإرهاب ليست بثورة - وهكذا كانوا يبررون الإرهاب . ولم نكن ندرس أي شيء عن زعماء الثورة باستثناء تروتسكي



أعضاء أعضاء الحكومة السوفيتية بحرين عبد أول ماير في الميدان الأحمر بموسكو سنة ١٩٢٩ ويرى ليجولا بخرارين في أقصى اليسار . أعضاء بعض المقالات التي نشرت مؤخرا في الصحافة السوفيتية عن تروتسكي .

أما هذا العام الذي شهد الاحتفال بمرور مائتي عام على قيام الثورة الفرنسية . فقد تحسن الوضع . وملائما بعض "البقع البيضاء" بإصدار كتب تبحث بصورة موضوعية جميع جوانب الظاهرة الثورية . ويصدق هذا أيضا على الثورتين الإنجليزية والأمريكية . وقد كتبت أنا نفسي عدة مقالات قارنت فيها بين الثورات الثلاث وثورة أكتوبر . وفي الماضي كان هناك كثير من الكلمات والأسماء في عداد المحرمات . مثل "التقارب" و "معسكرات الاعتقال" و "عضو الأكاديمية سخاروف" . ولم يكن التحريم لأسباب تاريخية . ولكن لأن تلك الموضوعات تمس السياسة . أما اليوم فإننا نتحدث عن كل هذا بمطلق الحرية . ونعبر عن آراء مختلفة ومتباينة . واختفى ذلك التجانس الظاهري . وحل محله الآن تعدد الآراء والديمقراطية . فمنذ خمس سنوات تغير كل شيء . ولاشك أن هناك قوى محافظة تحاول عرقلة هذه الانطلاقة وكبحها . ولكن الجامعة حيث أقوم بالتدريس



حناث أزية في جنة (بالى) في مرفع مركز مجارى لدم .

المشروعية على الروايات الشفهية كوثائق أرشيفية قد أنست الباحثين أنها أيضا أمثلة من الخطاب التاريخي في حد ذاتها .

فالراوى أو "المجربو" الذي كان ملتحقا بالبلاط في الفترة ما قبل الاستعمار مؤرخ في المقام الأول .

وشهدت الستينات تحولا في الدراسات التاريخية الأفريقية عندما طوعت الأساليب النقدية الكلاسيكية لتحيص المصادر بحيث تصلح لتحليل البيانات الشفهية . وقد دعت ضرورة إقناع الرأى العام المشكك بأن فكرة التاريخ الأفريقي فكرة صحيحة إلى التسليم بأن الطريقة الشفهية في حفظ المعلومات يمكن أن تكون مطابقة للوقائع مثلها في ذلك مثل الكلمة المكتوبة وذلك طالما كان للبنى السياسية من الاستمرار ما يضمن انتقال الروايات الشفهية .

ومن الملاحظ أن مؤرخي أفريقيا يبدون اليوم الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي . وهم يواجهون مزيدا من الانتباه إلى ما يسمى بـ "التاريخ في نطاق ضيق" Micro - History .

وبإمكاننا بفضل جهودهم أن نتعلم كيف نحترم حرص المجتمعات الأفريقية على حفظ ماضيها في سجل متصل . والواقع أن الأفريقيين مازالوا يكتبون تاريخهم لقرون وذلك منذ أن أعطتهم الثقافة الإسلامية حروف الهجاء العربية فاعتمدها علماءهم الذين صاروا جزءا من ثقافة منطقة الساحل الأفريقية .

والأفريقيون في هذه المنطقة وفي غيرها من المناطق يروون ويغنون ويثقلون (عن طريق الرقص والشعر ومسرح العرائس) ويحتنون ويسمون تاريخهم . وهم كفهمهم من الشعوب قد حافظوا دوما على إدراك ماضيهم وحرصوا على وضع رواياتهم التاريخية التي تراعى الوقائع في إطار تفسيري وجسمالي يجعل الماضي مفهوما ويربطه بالحاضر والمستقبل . وبذلك نشأ نوع من الخطاب مفيد وأصيل ويمكن تصديقه . وصار لهذا الخطاب مكان في تاريخ العالم فنسلم إذن بإسهام "الإنسانية" السوداء في صنع التاريخ المشترك . فمصر لم تكن حضارة أفريقية فحسب . وإنما كانت أيضا حضارة سوداء . شأنها في ذلك شأن الإنسانية في باكورة تاريخها . وكان القديس أوغسطين ينتمى - كما انتهى كثيرون غيره من المفكرين - إلى مجتمع مختلط الأجناس . وقد أصبح من الممكن الآن أن ننظر إلى التاريخ الأفريقي وإلى مناهج التاريخ في المجتمعات الأفريقية بمزيد من الانصاف والاعتزان .

فنحن نعلم الآن أن التاريخ الأكاديمي الذي ظل إلى عهد قريب يمجّد الكلمة المكتوبة التي قام عليها ليس هو الأسلوب الصحيح الوحيد . وذلك أن التاريخ الشفهي يرتكز بدوره على معايير عريقة ومنطق خاص في تفسير الماضي . فلماذا نشعر بأنه يتعين علينا أن نقدر هذا التاريخ كمادة أرشيفية غفل في انتظار النظرة الفاحصة التي يليقها المؤرخ المعاصر ؟

منهجية للبحث كان المؤرخ جان فانسينا ومازال رائدها . واقتضى تحليل هذه الأخبار منذ البداية أن يتعاون المؤرخين على نحو وثيق مع أخصائى الأنثروبولوجيا وعلماء اللغويات . كما أدى بصفة عامة إلى التخفيف من الحواجز اللغائية بين هذه التخصصات ووقع عدد من الباحثين إلى قبول مفهوم "حاضر الإثنوجرافى" في مصطلح الأنثروبولوجيين . وترتب على ذلك ظهور تقسيم الماضى الأفريقي تقسيما مصطنعا يحدد فاصل هو الاستعمار . وروى بناء على ذلك أن التاريخ الذى سبق هذا الحد كان بوتقة للحياة الأفريقية الأصيلة . بينما أهمل التاريخ الاستعماري أو اعتبر فترة فاصلة من الثقافة والسيطرة كما أنهى عن المفهوم الحاضر الإثنوجرافى فكرة لم تعد تستخدم اليوم . وهى أن أفريقيا السوداء متحف حي للتطور البشرى .

أما الفكرة التي مؤداها أن الأخبار الشفهية ليست جديرة بالاهتمام أو أنها لم توجد إلا في فترة الاستعمار فإنها فكرة باطلة مؤداها أن المجتمعات الأفريقية فقدت القدرة على التحكم في مصيرها فقدانا تاما في فترة الاستعمار . وقد تخض مثل هذا التفكير عن أسطورة هي أن الأفريقي الحضري ظاهرة شاذة من الناحية الثقافية وأن الأفريقي "التقليدى" الذى يسكن الريف هو الأفريقي الأصيل . وقد كان لهذه الأسطورة ولغيرها من الأساطير تأثيرا عميقا على دراسة التاريخ الأفريقي دراسة علمية وقد صدر عن المؤسسات الأكاديمية والباحثين والأفراد عروحي لأخبار الدول الأفريقية وبلاطات كبار الزعماء في أفريقيا . ومن الملاحظ أن الشعور بالأهمية الملحة قد حدا بجميع المؤلفين إلى ترجيح أقدم الأخبار . فكانهم يعملون بالمثل القائل : "كلما مات شيخ ضاعت برته مكتبة"

وكان هناك إذن ميل إلى الاهتمام بالجانب الوثائقي من التراث المنقول شفهيا . ولكن الجهود الرامية إلى إضفاء

JEWSEWICKI  
مؤرخ  
من كندا . يكتب التاريخ بجامعة  
أفريقيا (كندا) . ألف كتاب "African  
Historiographies : What  
History for Which Africa  
(ما هو التاريخ في أفريقيا : أى تاريخ  
لأفريقيا ؟) (١٩٨٩) .  
MUDIMBE  
د . ي . مؤرخ  
من زائير . لسان اللغات الرومانسية  
والأدب المقارن في جامعة ديبول  
(الولايات المتحدة)



## "البحث عن الماضي"

صناعة التاريخ

مقالات عن

مومسن

ميشيليه

هيجل

ماركس

برودل

ومناهج التاريخ في

أفريقيا

أوروبا

الولايات المتحدة

المكسيك

أندونيسيا

الهند ..

### رسالة اليونسكو

صدر شهرها في ٢٥ لغة من اليونسكو: مجلة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم ونشر مجلة مختارة للسكرتيرين بالإنجليزية والفرنسية والآسيوية والكورية  
هيئة التحرير (باريس)  
المدير العام: جيمس كينيدي  
رئيس التحرير: عادل رستم  
مدير التحرير: جيليان جرايت كرويت

المحررون:  
الطبعة العربية: عبد الرزاق الصادق (مصر) (باريس)  
الطبعة الفرنسية: آلان ليشك (على الحاق) (باريس)  
الطبعة الألمانية: روني مانكين (باريس)  
الطبعة الآسيوية: فرانزيسكو فرنانديز (سانت بطرسبرغ)  
الطبعة الروسية: فلاديمير كورسنيكوف (باريس)  
الطبعة الألمانية: لودفيغ شيركن (أودا)  
الطبعة اليابانية: شينجيرو كوسيدا (توكيو)  
الطبعة الإيطالية: ماريو جوديني (روما)  
الطبعة الهنكية: راجاشي سوراي (دلهي)  
الطبعة النرويجية: ج. ه. هانسن (أوسلو)  
الطبعة الصينية: تشينغ مينغ (بيجين)  
الطبعة الفارسية: حسن زاهد (تهران)  
الطبعة الهولندية: برونو جرون (أمستردام)  
الطبعة البرتغالية: بيدرو سلفا (لوزان)  
الطبعة التركية: ميرا غاي (الآنكارا)  
الطبعة الأرمنية: جاك ميس (يريفان)  
الطبعة القذافية: جوان ديغاس (باريس)  
الطبعة القذافية: جوناك (باريس)  
الطبعة الكورية: يانغ سونغ (سيول)  
الطبعة السواحلية: ديميتري ديميتري (نواكشوط)  
الطبعة القذافية: الكزيمير (بروكسيل)  
والسوفييتية والمندوبية: ستيفن ستروفسكي (لندن)  
الطبعة الصينية: تشين جونغ (بيكين)  
الطبعة البلغارية: جران جوفيت (صوفيا)  
الطبعة اليونانية: نيكولا باناسيوس (أثينا)  
الطبعة السنغالية: ج. ج. سوباناسكر (دكار)  
الطبعة النرويجية: جوناك (أوسلو)  
الطبعة السويدية: ألفريد (ستوكهولم)  
الطبعة اليابانية: جوناك (توكيو)  
الطبعة القذافية: جوناك (باريس)  
الطبعة القذافية: جوناك (باريس)

الذات والصورة التي لا يتركها عليها من الترفيد...  
بحارة ومثيرة عن رسالة اليونسكو: يتبعها تاريخ صدور العدد، وترسل ثلاث نسخ منها إلى إدارة الرسالة، والتحرير التي لا يتركها عليها من الترفيد...  
يأخذ على طبعه، والمخطوطات التي لا تظنها إدارة الرسالة...  
لا تتركها عليها...  
والذات التي تشرفها رسالة اليونسكو...  
مؤلفها رئيس التحرير...  
الرسالة...  
المقالات...  
تشرع...  
جانب اليونسكو أو الأمم المتحدة

تصدر الطبعة العربية بإشراف مركز مطبوعات اليونسكو  
طُبعت في - القاهرة  
رئيس مجلس الإدارة: السيد محمود الشاذلي

إلى الخارج بكل حرية، وعكفت على العمل في دور المحفوظات في إيطاليا وفرنسا وبلجيكا. وسأقوم بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية في العام القادم.

### كيف تضع تاريخاً علمياً ؟

لست من أنصار المبادئ بأن تكتب على الفور تاريخاً يصلح للجميع. فلابد من توافر الوقت والسير خطوة بخطوة. ولتعد إلى موضوع الثورة الفرنسية. فقد أصدرنا بمناسبة مرور مائتي عام عليها، كتاباً كان ثلث مؤلفيه من الفرنسيين. واتبعنا في ذلك المبدأ الذي انتهجناه من قبل عند وضع "قاموس المكافحة"، وهو أن يشترك في كتابة الفصل الواحد مؤلفان، أحدهما سوفيتي والآخر فرنسي. ومن ثم تحققت المعايير العلمية وانحصر نطاق الأيديولوجيات. ولكن كيف تضع تاريخاً علمياً ؟ فبعض المشكلات لها متضمنات أيديولوجية أو آثار سياسية.

وإنني أعتقد أن مهمة المؤرخين لا تقتضي شرح كل شيء، ولكنها تنصب على الكشف عن كل ما حدث فعلاً. وفي الوقت الحالي، لا يمكن القول بأن لدينا تاريخاً علمياً حقاً، فذلك لم يحدث بعد، غير أننا في سبيل تحقيق ذلك. وتعتبر الصحف من هذه الناحية، ذات أهمية كبرى. فعندما كنت طالباً في موسكو، لم أكن أتأمل بانتصالي إلى كلية الآداب، بل كنت أزعج أنني أعد نفسي لكي أصبح مهندساً أو فيزيائياً... أما الآن، فقد أن أوان المؤرخين. فالتلغرافونات والصحف والإذاعات السوفيتية والأجنبية تلاحقنا بأستلثها. ولقد اضطرني الأمر إلى إجراء ما يقرب من مائة مقابلة شخصية مع مراسلي الصحف اليومية من جميع أنحاء العالم تقريباً.

ويلاحظ أن الشيوعيين في بقية العالم، وخاصة في بلدان العالم الثالث، قد قنعوا لفترة طويلة بالأخذ بالنص الرسمي للتاريخ السوفيتي. ومن ثم كانت التغييرات التي تجري عندنا الآن تثير حيرتهم وتوقعهم في الارتباك. فقد كنا لهم نموذجاً يحتذى بصورة للجنة على الأرض. ولكنها صورة خاطئة، وقد بدأت تهتز بالفعل منذ أكثر من ثلاثين عاماً، أي منذ انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، وصدر تقرير خروشوف عن ستالين. أما الآن فقد أصبحتنا منتعجين وبدأنا نقاش ونسعى لإظهار الحقائق. وهؤلاء الرفاق لم يتعودوا على ذلك.

والواقع أن الحركة الشيوعية لم تنعود على تعدد الأفكار، وهو الأمر الذي ساد في رأسي في عصر لينين. وقد فقدنا عادة المناقشة منذ عهد ستالين. ولذلك أصبح لدينا في الاتحاد السوفيتي عدة أوساط أوقعها الوضع الحالي في حالة من الحيرة والبلبل. ولقد ذهبت إلى الجزء الواقع في أقصى شرقي البلاد، ولاحظت أن الناس هناك لا يفهمون ما يدور في موسكو أو في لنینجراد. وسرف يقتضي إقناعهم وقتاً طويلاً، وعلينا أن ندرك ذلك. ■

"50 idées qui ébranlent le monde. dictionnaire de la glasnost." dirige et prefate par youri afanassiev et marc ferro, ed. payot, paris 1990 /ed. progress 1989, moscow



أعضاء مجلس رئاسة أول مؤتمر للسوفييت ١٩٢٢. أعلام إلى اليسار: جريجوري زينوفيف.



بوريو أراكشيفيتش ستروكين (١٨٩١ - ١٩٩١)

Slotkin  
فلاديمير ستروكين، معلم بالأكاديمية البوليمانية في موسكو أخصائى في تاريخ فرنسا والعلاقات الفرنسية السوفيتية. ألف كثيراً من الكتب بما في ذلك دراسات عن حروب نابليون والعلاقات بين فرنسا وروسيا في القرن التاسع عشر.

تشهد تطوراً على نطاق واسع. وأصبح علينا القيام بهمتين: التدريس والبحث، وفي هذا بحثنا الطلبة على ضرورة التفسير فتلك حركة عامة شاملة. "أنتم مؤرخون. وعليكم أن تتخذوا القرار".

وقد صارت حرية المطبوعات مكفولة ولكن ذلك لم يحدث إلا منذ سنتين، وهو ما يفسر وجود كتب تعليمية جديدة. ولكن في مقابل ذلك ينشر عدد ضخم من المقالات في بعض الصحف اليومية والأسبوعية والمجلات التاريخية، وليس في جميعها ومازال بعض هذه المجلات. في انتظار الأوامر والتعليقات من اللجنة المركزية، ولكن اللجنة المركزية تلوة بالصمت. وقال جورباتشوف: "الأوامر أنتم مؤرخون، وعليكم إذن أن تتخذوا القرار".

ولسد فراغات "البقع البيضاء" في دور المحفوظات ينبغي استخدام الكتب التي سبق حظرها، وهو ما يسمى عندنا "بدور المحفوظات الخاصة" أو "المكتبات الخاصة" أو "دور الوثائق الخاصة". أما الآن فكل شيء ينشر دون استثناء. وهكذا أتبع لي أن أنشر في المجلة الأسبوعية "Smen" وثيقة كبرى عن تروتسكي والتروتسكية. كما أنني نشرت في جريدة يومية مخصصة لمعلمي الثانوي، مقالا مطولا ومصوراً عن "ستروكين" المصلح الأول الذي ظهر في مطلع هذا القرن. فقد أراد أن يجرى إصلاحاً زراعياً، ولكن المحافظين أبعدوه. وبفضل ما نشر من صور، رأينا ستروكين لأول مرة.

وينبغي علينا لكي نرسم لوحة تاريخية حقيقية، أن نستخدم كل المحفوظات، وكل المصادر، والشبكة التي تواجها الآن هي ضرورة إقناع أبناء المحفوظات المتحجرين، والبيروقراطيين المتشدين. والواقع أن هذه الدور ليست مغلقة كما يظن في كثير من الأحيان. ويستطيع كل شخص أن يتوجه إليها وأن يطلب ما يحتاج إليه من مراجع. فكل شيء متاح من الناحية الرسمية، حتى محفوظات الحزب. ولا أدل على ذلك من اكتظاظ دور محفوظاتنا بالباحثين الأمريكيين واليابانيين. وثمة مكتبة كبيرة للأعلام بالقرب من موسكو، وقد شاهدت فيها بعض الأعلام طوال يوم كامل دون أية صعوبة. كما أنني سافرت



大成至聖文宣王殿

